أبو المخشي التميمي الأندلسي
شاعر أعار سيرته للتاريخ

عبدالغفور إسماعيل روزي

أستاذ مشارك بقسم التاريخ ـ جامعة الملك سعود ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

المجلة العربية للعلوم الإنسانية 117 العدد 19/75

الملخص

يلحظ المتابع لعصري الأميرين الأمويين ، عبدالرحمن الأول ـ الداخل ـ ، وابنه الأمير هشام الأول ـ الرضا ـ الأندلسيْين ، أن المدونات التاريخية تبدي اهتماماً بسيرة الشاعر أبي المخشي التميمي ، يدفعها إلى ذلك تداخل السيرة مع الوقائع التاريخية للعصرين ، مثلما يلحظ أيضاً أن السيرة قد نالت نصيباً من اهتمامات مؤرخي الأدب والشعر ، وكذلك من مصنفي كتب الطبقات والتراجم .

إن الدراسة بجمعها ما توافر من الشاعر في الجانبين ، لاتحقق جمع سيرة متكاملة عن حياته المليئة بالتحولات فحسب ، بل تملأ ثغرات كانت تعتري وقائع العصرين من الجانب السياسي .

وهي تسعى إلى عرض لسيرة أبي المخشي منذ خروجه مع أبيه من المشرق ، مروراً بالمغرب ، وانتهاء بالأندلس ، مع التعرض للأسباب التي أدت لأن يكون الشاعر جزءاً من المعتركات السياسية في أيامه ، وما ناله في ذلك من نصيب . فضلاً عن الجوانب التي ساعدت دراسة سيرة الشاعر في التعرف إليها ، مثل قضية ولاية العهد من عبدالرحمن الداخل لابنه هشام ، والأسباب التي أدت إلى أن يكون طرفاً فيها .

مقدمة

لقيت الدعوات التي نادت بها مدارس تاريخية جديدة في العقود الأخيرة ، إلى وجوب تغيير العلاقة القائمة بين المؤرخ ومصادر معلوماته ، استجابات متفهمة ، وأدى ذلك إلى ظهور دراسات تاريخية ذات أبعاد غير مطروقة سابقاً ، لاسيما في ميادين التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والفكري .

وكانت أمثال تلك الدعوات المتزايدة تحث المؤرخ وتشجعه على وجوب توسيع آفاق مصادره التي ارتبط بها تقليدياً وغدت مألوفه لديه ، إلى ميادين وتخصصات أرحب ؛ إذ لم يعد كافياً ولامثرياً بقاء المؤرخ في دائرة حولياته ومدوناته التاريخية التقليدية التي لربما استنفد ما فيها ، بل استوجبت المنفعة الأشمل لديه أن يولي اهتمامه إلى ميادين علمية مساندة مثل الأدب والشعر والسير والفتاوي وكتب الطبقات والتراجم ، وأن يمد أنظاره إلى تخصصات أخرى ؛ مثل الجغرافيا والاقتصاد والاجتماع والآثار ، بل حتى إلى ميادين أبعد ، مثل العلوم التطبيقية كافة .

فرنان بروديل Fernand Braudel ، المؤرخ الفرنسي المعروف ، هو أحد هؤلاء المنادين بهذه الدعوة ، وله في شرح دعوته تصور يوضح فيه ما يدعو إليه : علوم الإنسان Les Sciences de L'homme ، كما يسمى العلوم جميعها ، هي حالة أشبه بحالة ساكن منزل ، إن المنزل ـ كما هو معروف ـ يتكون من منافع ضرورية ؛ حجرة للمعيشة ، وأخرى للنوم ، وثالثة للطعام ، ورابعة للطبخ ، وهكذا . والساكن لهذا المنزل كما يوضح بروديل ، لايكتفي من منزله بحجرة واحدة ، يغلق بابه على نفسه فيها ، بل تقتضي ضرورة الانتفاع من مسكنه كاملاً ، أن ينتقل بين أرجائه ، وينتفع من كل حجرة ، بما تقتضي حاجته لذلك .

ويستطرد بروديل بعد ذلك رابطاً بين مايوضحه وبين ما يدعو إليه ، ويتخيل أن حجر المنزل تتوزعها «علوم الإنسان» بدلاً من حجر المنافع المعتادة ، هناك مثلاً حجرة للتاريخ ، وأخرى للجغرافيا ، وثالثة للاقتصاد ، ورابعة

للاجتماع ، وهكذا . ويخلص التوضيح قائلاً إن ساكن المنزل مثلما تدعو حاجته للتنقل فيه ، فإن المؤرخ في حاجة أيضاً للتنقل بين حجر العلوم المختلفة ، من أجل تحقيق المنفعة الكاملة[1] .

إن ماهدف إليه بروديل بهذا المثال هو أن «علوم الإنسان» أضرَّت بنفسها ضرراً بالغاً حينما أصرت على التباعد ، ووضعت حواجز فاصلة بين بعضها وبعض بدعوى التخصص ، وتخلت طوعاً عن المنافع التي كانت ستجنيها لو أنها حاولت التعرف إلى مايمكن أن تقدم كل واحدة منها للأخرى .

وتبعا لنهج بروديل ، لاينبغي أن يكون هناك علم خاص بالتاريخ ، أو للجغرافيا ، أو الأدب والاقتصاد والاجتماع . . . هكذا ، بل ينبغي أن يكون هناك علم واحد للإنسان ، فعلوم الإنسان لايحصل للإنسان جني منافعها إلا بعد رصد مكامنها ، وإدراك كنوزها[2] .

وعليه فإن هذه الدراسة ، هي محاولة لاتباع هذا النهج ، ولا يدفعنا إليه سبب سوى إدراكنا لفائدته في المقام الأول ؛ ومن ثم اقتناعنا بأن سلوك دروبه هو الملجأ الذي نأمل من خلاله تكوين صورة أكثر تماسكاً لموضوع بحثنا الذي يشتكي من ضياع ملامحه وفقدان أطرافه .

تاريخ الأندلس ، والحال فيه مثل أحوال التاريخ في عمومه ، يشيع كثير من الثغرات في جوانبه . ويؤدي ذلك إلى ما ينتهي إليه المؤرخون عموماً ، أما إلى التشكي من صعوبة سد تلك الثغرات ، أو الإعراض عن الخوض في قضاياها إعراضا تاماً .

من الثغرات المشار إليها ، قضية تبرز فيها هذه الحالة بوضوح . وهي قضية تتعلق أولاً بمؤسس الدولة الأموية في الأندلس ، عبدالرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبدالملك (الداخل) ، وترتبط بابنيه سليمان وهشام . وتتصاعد أهمية القضية ليس بسبب ارتباطها بهؤلاء فحسب ، بل بقضية أهم ، وهي قضية ولاية العهد ، وانتقال الحكم من المؤسس إلى من سيتولى مسؤولية الدولة من بعده . وهي من

ثم قضية تكتسب أهميتها من هذا الاعتبار ، لأن قرار عبدالرحمن حيال هذا الأمر كان سيصير سابقة تشكل القاعدة التي سيسير عليها الأمويون من بعده . وعليه فإن القضية لها أهميتها القصوى لا لزمن حدوثها فحسب ، بل لدولة عبدالرحمن اللاحقة من بعده .

لكن القضية على الرغم من أهميتها لم تنجح إلا في جذب اليسير من اهتمام المؤرخين إليها ، ومن ثم لم يتوافر عنها ما يمّكن من معرفة جوانبها ، والتحقق من أسبابها ، والحكم أخيراً على نتائجها .

وكان من المحتمل أن تظل تلك القضية مغلفة بالغموض ، لولا أن توضيح حالها أتى معلناً عن نفسه . لم يحدث ذلك بسبب الكشف عن مصادر كنّا نجهلها ، ولا معلومات ضللنا طريقنا إليها ، بل تمثل ذلك في سيرة شاعر معاصر لأحداث القضية ومتداخلة معها إلى حد بعيد ، وهو عاصم بن زيد التميمي الأندلسي ، المشهور بأبي المخشي .

إن جمع ما تناثر من سيرة شاعرنا هذا من الحوليات التاريخية والمدونات الأدبية ، وكذلك من كتب الطبقات والتراجم ودواوين الشعر ، أمكن في المقام الأول من بناء سياق موحد لها ، ومن ثم أدى تطبيق السيرة على وقائع عصرها إلى سد الكثير من الثغرات ، وأدت الاستعانة بالسيرة إلى رأب الصدع الذي كان قائماً فيما كنا نعرفه عن مسألة ولاية العهد ، ومواقف عبدالرحمن الداخل وابنيه ، سليمان وهشام منها .

ليست هذه فحسب الفائدة التي أمكن جنيها من الاستعانة بسيرة أبي المخشي فيما له علاقة بموضوعنا الأساس ، بل إن التدقيق في تفصيلات السيرة ساعد أيضاً على التعرف إلى جوانب مفصّلة عن العلاقة الثلاثية التي كانت قائمة بين عبدالرحمن وابنيه أولاً ، ثم علاقة الأخوين سليمان وهشام بعضهما ببعض . كما أدى التمعن في سيرة شاعرنا ، والوقوف على معاني شعره إلى تلمس جوانب لم تكن معروفة من قبل عما رصد عن هؤلاء في المصادر التاريخية ، وتنوه إلى صفات وميول خاصة ورغبات شخصية مميزة لأطراف

القضية الثلاثة ، وهي عوامل ـ كما سنرى لاحقاً ـ كان لها دور في تحديد العلاقة القائمة بين هؤلاء ، وكذلك تقرير مسار القضية المشار إليها .

إن مقتضيات بحثنا هذا يتطلب منا تقسيمه إلى قسمين رئيسين ؛ القسم الأول منه ينصب على التعرف بأبي المخشي ودراسة سيرته ، ويتعلق القسم الثاني بدراسة العلاقة بين سيرة الشاعر وأحداث فترة انتقال الحكم من عبدالرحمن إلى ابنه هشام .

ولكن ـ وقبل البدء بتقديم سيرة أبي المخشي والتعريف به ـ ينبغي علينا أن ننوه إلى حقيقة يجدر الإشارة إليها ، وهي العناية الاستثنائية التي لقيتها سيرة شاعرنا ؛ سواء من المؤرخين ، أو من مصنفي كتب الطبقات والتراجم ، وكذلك من متابعي تاريخ الحركة الأدبية في الأندلس قديمهم وحديثهم . ولعل من الممكن رد ذلك إلى غير سبب ، مثل انفراد حياة شاعرنا بجوانب مثيرة غير عادية ، أو لمكانته المميزة بوصفه شاعراً معروفاً يغري الآخرين بتتبع أخباره ، أو قد يكون الأمر ناتجاً من حرص الشاعر على تسجيل معاناته الشخصية والتعبير عنها شعراً ، وهو ما أدى إلى أن تبقى ذكراه حية في نفوس الذين كانوا يتداولون شعره في الأندلس وغيرها ، أو لعل من الممكن رد الأمر برمته إلى اتصال سيرة شاعرنا بأفراد كبار من البيت الأموي الحاكم ، مثل عبدالرحمن بن معاوية نفسه ، وابنيه سليمان وهشام ، ولاسيما بعد اعتلاء هشام سدة الإمارة خلفاً لوالده . ولعله أخيراً بسبب من تلك العوامل جميعها أفرد المدونون لحياة الشاعر مساحة أكبر مما يفردونه عادة لتسجيل السيرة الشخصية لعلم من الأعلام .

والحديث عن العناية التي أوليت لسيرة أبي المخشي ، يؤدي بنا إلى القول أيضاً أن الاهتمام بها بدأ على يد كبار المؤرخين الأندلسيين ومبكريهم مثل الرازي وابن حيان ، وبالرغم من أن كتب هؤلاء في حكم المفقودة ، حفظ لنا لسان الدين بن الخطيب في «الإحاطة»[3] ، وعلي بن ظافر الأزدي في «بدائع البدائه»[4] ، الكثير من سيرة شاعرنا بالاعتماد على المعلومات التي أوردها هؤلاء . وفي الحقيقة ، لم يقتصر الاهتمام بسيرة أبي المخشي على هؤلاء ، بل

هناك آخرون ممن أولوا السيرة عناية مماثلة ، مثل ابن القوطية ، وابن سعيد ، والمقري[5] . ومثلما كان لمؤرخي الأندلس اهتمام في حفظ سيرة شاعرنا ، كان لمصنفي التراجم الأندلسيين أيضاً ، مثل ابن الآبار والزبيدي والحميدي والضبي ، عناية في إضافة معلومات مهمة لها[6] . وقد أدرج هؤلاء أبا المخشي ضمن الأعلام الأندلسيين البارزين .

وأخيراً ينبغي علينا الإشارة هنا ، إلى أن العناية بأبي المخشي لم تتوقف عند اهتمام القدامى به ، بل تواصلت بحماس إلى أيامنا[7] ، ونرى صورة الاهتمام به أكثر وضوحاً لدى المهتمين بمتابعة تاريخ الحركات الأدبية في الأندلس[8] .

وهكذا من خلال جمع هذا القدر من المعلومات التي رويت عن سيرة شاعرنا ، يمكن لنا أن نرسم سيرته على النحو الآتي .

أبو المخشي[9] وسيرته

يقول ابن حزم في سياق تقديمه لبني تميم في الأندلس :

«وكَدُ امرئ القيس بن زيد مناة : مالك ، والحارث وعُصيَّة . منهم : عدىٌّ بن زيد بن أيوب بن مجروف بن عامر عُصية بن امرئ القيس بن زيد بن مناة ، وابنه زيد بن عَدىّ ، صاحب النعمان بن المنذر بالحيرة : ومن ولده كان الشاعر الأَندلسي أبو المخشي عاصم بن زيد بن يحيى بن حنظلة بن علقمة بن عديّ بن زيد بن عدىّ بن زيد بن أيوب»[10] .

وأورد صاحب «بدائع البدائه» نسب أبي المخشي ، نقلاً عن ابن حيان ، على الوجه الآتي : «أبو المخشي عاصم بن زيد بن يحيى بن حنظلة بن علقمة بن عديّ بن زيد بن حمّاد العبادي»[11] . وزاد المراكشي : «عاصم بن زيد بن يحيى ابن حنظلة بن علقمة بن عدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن مجروف ابن عامر بن عصية بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان التيمي العبادي»[12] .

مما ذكر يتبين لنا أن عاصم بن زيد «أبا المخشي» له نسب صريح لايختلف حوله النسابون . فهو يستمد جذوره من سلالة عريقة ضمت بين أفرادها أعلاماً بارزين ، من أمثال امرئ القيس وعديّ بن زيد ، سارت أسماؤهم في الآفاق غير مستمدة شهرتها من مكانتهم الشعرية فحسب ، بل من كونهم قادة كان لهم أثرهم في معتركات أيامهم . ومثلما هو الأمر مع عاصم بن زيد ، فإن سير هؤلاء أيضاً قابلة لأن تقوم شواهد لتاريخ عصورهم ، فعدي بن زيد انتهت حياته بنهاية مأساوية على يد النعمان بن المنذر في الحيرة[13] .

يتفق المؤرخون على تحديد زمن دخول عاصم إلى الأندلس ، كما يتفقون على سبب الدخول ، فهو محدد عندهم بحوالي سنة 123 من الهجرة ، فيما يعرف بدخول الجند الشامي ، أو طالعة بلج بن بشر القشيري ، إلى الأندلس[14] . كما يتفقون على أن دخوله إليها كان مع أبيه زيد بن يحيى الذي انتهى به الاستقرار في الأندلس في قرية شوش في إقليم البيرة ، عقب توزيع أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي الجند الشامي على أنحاء الأندلس[15] . ولكن ، على الرغم من توافر القرائن عن أيام عاصم بن زيد المبكرة في الأندلس ، فإن بعض تفصيلاتها لاتزال محل خلاف بين المؤرخين . ووجه الخلاف يدور حول ما إذا كان عاصم وفد على الأندلس ، مثل أبيه ، أم أنه ولد في الأندلس بعد دخول أبيه إليها . ولعل مرد الاختلاف يعود إلى غموض الروايات التي تحدثت عن هذا الجانب تحديداً ، فابن سعيد ـ مثلاً ـ يصوغ خبر الدخول على الوجه الآتي :

«إن أباه ـ أي أبا عاصم ـ دخل الأندلس من المشرق مع جند دمشق ، فنزل بقرية شوش ، ونشأ ابنه على قول الشعر ، واشتهر به»[16] ، وغموض الرواية هو الذي أدى بالبعض إلى أن يظن أن الوافد على الأندلس لم يكن الشاعر الابن ، وإنما أبوه ، حسب ماذهب إلى ذلك مؤرخ محدث[17] .

إن الأرجح هنا ـ حسبما نتبين لاحقاً ـ أن عاصما كانت ولادته في المشرق ، وأنه وأباه ، كانا طارئين على الأندلس .

إن الإشارة إلى نشأة عاصم بن زيد في الأندلس ، مع أرجحية ولادته في

المشرق يدعونا إلى التساؤل عن عمره عند دخوله بصحبة أبيه إليها ، وهي قضية أهملت الروايات ذكرها ، مضيفة بذلك مزيداً من الغموض حول أيام عاصم الأولى في الأندلس ، ولكن على الرغم من غموض هذا الأمر ، تعزز الفرضيات اعتقادنا بأن عاصم بن زيد حين رحل عن المشرق لم يكن ـ بأي حال ـ في عمر الطفولة الاتكالية التي يحتاج فيها إلى رعاية أبيه ، بل كان في سن التحمل والاعتماد على الذات ، سواء فيما كان متوقعاً منه لمعاونة أبيه في تحمل تبعات سفر شاق طويل ، أو حتى المشاركة العسكرية في الجيش الذي سيره هشام بن عبدالملك للقضاء على نمو قوة الخوارج في المغرب . إن جدية الظروف التي بسببها ارتحل عاصم من المشرق إلى المغرب تدفعنا إلى القول بعدم مرافقته لأبيه لو أنه كان دون سن تحمل المسؤوليات الجادة . ولعل مايعزز رأينا هذا هو علمنا بأن والد عاصم كان من أعلام الجند ومقدميهم[18] . ولعل مسؤوليته العسكرية تلك ، هي التي أدت به إلى أن يكون ضمن الجيش الذي لاحق البربر الخوارج في الغرب الأقصى ، والذي انقلب عليه الحال فيما بعد في معركة «بقدورة» عند وادي «نهر سبو» ، وانحصاره في آخر الأمر في سبته ، قبل التحول منها إلى الأندلس لاحقاً فيما يعرف بـ«طالعة بلج بن بشر القشيري»[19] . ولكن الذي يصعب تحديده هنا ، هو ما إذا كان عاصم قد نيطت به مهام عسكرية ، خلال هذه المرحلة ، أم أنه كان قائماً على مراقبة أبيه فقط ، والقيام على راحته .

المرحلة التالية لدخول عاصم وأبيه الأندلس ، هي مرحلة لانستطيع أن نحكم مجرياتها إلا من خلال مانعرفه من أحداث المرحلة التاريخية العامة ، وليس من خلال مانعرفه من سيرة حياته مباشرة ؛ فالمصادر التاريخية لم تبد اهتماماً يذكر فيما يتعلق بهذا الجانب . فالمعروف من خلال مجريات الوقائع المتزامنة ، أن الأندلس بعد تحول الجند الشامي «طالعة بلج» إليها ، مرت بفترات من المواجهة العسكرية ، أولا بين أهل الأندلس الذي كان يمثلهم التآلف العربي الأندلسي القديم (البلديين أو رعيل الفاتحين) والجيش الشامي (جيش بلج) ، وبين ثوار الأندلس من البربر ، ومن ثم بعد ذلك بين ـ البلديين والشاميين ـ بعد القضاء على ثورة البربر . والمعروف أن هذه المواجهة الدامية في أولها مالت إلى

فترة هدوء نسبي على أثر وصول أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي ـ والي الأندلس الجديد ـ ، وسماحه للقيسيين بالبقاء في الأندلس ، كما كانوا يطالبون منذ تحولهم إليها ، إن الهدوء الذي أشرنا إليه سرعان ما تعكر صفوه فيما بعد على أثر انقسام الفريقين مجدداً إلى معسكرين ، يتزعم اليمنيين فيه أبو الخطار الكلبي ، والجند الشامي الصميل بن حاتم . قبل أن تنتهي هذه الحقبة المعروفة بعصر الولاة على يد عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك (الداخل) ، وقضائه على آخر الولاة الأندلسيين يوسف بن عبدالرحمن الفهري .

إن هذه التحولات تمكننا من رسم خطوط عريضة لظروف الحياة التي كان على عاصم أن يواجهها في سنوات نشأته في الأندلس ، فالاحتمال القائم أنه وأباه كانا رهينة لهذه التحولات[20] ، لاسيما أنهما كانا مجبرين على أن يكونا طرفا في المعسكر الشامي بحكم الانتماء القبلي أولاً ، وبسبب المواقف المتولدة عن ذلك ثانياً[21] . وبالرغم أننا نفتقر للمعلومات الدقيقة المتعلقة بحياة عاصم خلال هذه لمرحلة ، من الممكن القول بأن هذه المرحلة لربما كانت من أقوى المراحل تأثيراً عليه ؛ إذ كانت هي المرحلة التي عاصرت نموه وإدراكه ؛ فيها كان عليه أن يختبر عن قرب معارك الانتماءات القبلية وما تفرزها من عداوات ، ويشهد بنفسه دوافع خصوماتها ، وقوة احتدامها .

بالنسبة لعاصم شخصياً ، كانت التقلبات المشار إليها تمثل أيضاً مرحلة انتقالية سنية له ، من الصبا إلى الرجولة . فإذا سلمنا ـ كما ذهبنا إلى ذلك سابقاً ـ بأنه دخل الأندلس في سن اليفاعة أو بعد تجاوزها بقليل ، وذلك في حدود السنة 125 هـ ، فإن السنوات التالية ، وإلى مابعد السنة 138هـ ، كانت تمثل السنوات التي دخل فيها صاحبنا سن الرجولة ، التي تؤهله لتحمل المسؤوليات الأقوى ومواجهة تبعاتها .

لايعرف على وجه اليقين متى بدأت الملكة الشعرية لدى عاصم في التفتح ، فالأرجح أن البداية لم تكن في أيامه المشرقية ، حيث لم يرد لنا شيء من شعره المنسوب إلى هذه الحقبة ، كما لم ترد الإشارة إلى تمتعه بهذه الملكة في شبابه .

إن افتقادنا شعرا منسوباً لعاصم بن زيد قبل تحوله إلى الأندلس ، مكن المتابعين لشعره من أن يستنتجوا أن بداية قوله للشعر كانت في الأندلس . ولعل مما يرجح ذلك تأكيدات رواة سيرته ، فقد سبقت لنا الإشارة إلى ما قاله ابن سعيد بهذا الصدد ، من أن زيد بن يحيى نزل بقرية شوش ، ونشأ ابنه على قول الشعر . ويعزز ابن الخطيب الرأي بقوله : «ففيها ـ أي قرية شوش ـ شهر عاصم بالشعر»[22] .

إن التأكيدات التي طرحت عن بداية ممارسة الصنعة الشعرية لعاصم أدت بالمصنفين إلى عده من شعراء الأندلس الأصليين[23] ، أو من القدامى المشهورين من شعراء الأندلس[24] .

وسلوك عاصم في عداد الشعراء الأندلسيين ، والمكانة المميزة التي احتلها بوصفه من متقدميهم ، والريادة التي ملك زمامها في صنعته ، حتى عده ابن حيان وآخرون «شاعر الأندلس في زمانه»[25] ، تمكننا من تقسيم أطوار نبوغه في الشعر إلى مرحلتين متميزتين ، بدايتها في قرية شوش في البيرة ، حيث استقر مع أبيه ، وثانيها في قرطبة التي انتقل إليها لاحقاً .

كانت مرحلة قرية شوش فيما يبدو ، وإن كنا لانملك شواهد شعرية كافية للحكم عليها ، هي المرحلة التي نمت فيها قدرات شاعرنا وتبلورت أفكاره ، كما أنها لابد وأنها كانت المرحلة التي بنى فيها قاعدته الشعرية والأفكار التي استندت عليها . إن استقرار عاصم مع أبيه في وسط المحيط الدمشقي من الجند الشامي ، واللذين كانا من بين أفراده كما هو معروف ، جعله عرضه للمؤثرات الفكرية والقيم التي كانت سائدة لدى جماعة أهل الشام ، إذ إنها ارتحلت معاً من دمشق ، ومن ثم استقرت معا في شوش . وفيما يتعلق بتأثر شاعرنا بما كان سائداً في وسط هذا المحيط ، فإننا نلحظ ، كما يعزز رأينا ما أكده المؤرخون ، أن شعر عاصم في هذه المرحلة اتسم بخصائص تجعله أقرب إلى الأنماط الشعرية التي كانت سائدة في المشرق آنذاك ، كما كان قريباً من المعاني التي كانت متداولة فيها[26] . وإن تميز شعر عاصم بهذه الخصائص هو الذي أدى إلى وصفه

«بالشاعر الأعرابي» تارة ، وبالشاعر الأعرابي النشأة تارة أخرى[27] . كما أن الراصدين لشعره من المحدثين يعدون شعره من النسق البدوي ، كما يخلص إلى ذلك إحسان عباس[28] ، مستشهداً بما قاله عاصم في هذه المرحلة :

وهمٍّ ضافني في جوف يمٍّ كلا موجيهما عندي كبير

فبتنا والقلوب معلقات وأجنحة الرياح بنا تطير

أما بالنسبة إلى مرحلة قرطبة ـ وهي المرحلة التي انتقل فيها شاعرنا من شوش إلى قرطبة ، حتى غدا منسوباً إليها بالنسب القرطبي ـ فإن هذه المرحلة وإن كان من الممكن أن تعد مرحلة النضج الشعري لشاعرنا ، إلا أنها ـ إذا ما قورنت بمرحلة شوش ـ كانت المرحلة التي فقد فيها شاعرنا حرية التعبير العفوي ، التي تمتع بها في المرحلة الماضية ، وغدت تعبيراته مرتبطة بالمؤثرات الشخصية التي كان شاعرنا يتعرض لها في المحيط القرطبي السياسي ، كما غدت أكثر ارتباطاً بردود فعله لما كان يلحقه منها .

في قرطبة سلك صاحبنا درب التقرب من الأمويين ، حتى أمسى ـ كما قيل ـ شاعرهم ومادحهم[29] ، ولعله لم يكن أمامه سوى أن يسلك هذا الدرب ؛ إذ إن حيوية التقلبات السياسية للأندلس آنذاك كان لها القوة الجاذبة التي تغري الشعراء ـ وهم لسان الحال المعبرة عنها ـ للانسياق إليها بطواعية ، والانضواء إلى مغرياتها ومكاسبها .

إن بدايات دخول شاعرنا في أجواء السياسة في قرطبة ، يعرفنا بها ابن حزم فيما أشار إليه بقوله : «وأما بنو أمية بالأندلس فإنهم لم يتلقبوا ، إلا هشام ابن عبدالرحمن الداخل ، فإنه كان يقال له هشام الرضى ، ولم يتسموا بإمرة المؤمنين إلى أن كان عبدالرحمن بن محمد (الناصر) ، إلا أنني رأيت شعراً لأبي المخشي عاصم بن زيد التميمي يخاطب فيه عبدالرحمن بن معاوية (الداخل) بإمرة المؤمنين»[30] .

طريق البداية لأبي المخشي إذن كانت مع أمير الأندلس ، عبدالرحمن

الداخل ، فمنه التمس شاعرنا طريق الحظوة ، بتلقيبه بلقب «أمير المؤمنين» ، وهو لقب عزف عنه عبدالرحمن ؛ لأنه كان قريناً بلقب «الخلافة» التي لم يتسم هو بها ، ولم يرغب فيها . ولكن شاعرنا ـ فيما يبدو ـ اكتفى بعلاقته مع الداخل بهذا المقدار ، وعوضاً عنه حول مسعاه إلى ابني الأمير ، سليمان وهشام ، حيث يخبرنا ابن الخطيب عن ذلك قائلاً : «إن أبا المخشي على الرغم من انقطاعه إلى سليمان ، وإكثار المدح له ، ما أخلى الأمير هشام من مدحه»[31] ، ويستطرد ابن الخطيب مواصلاً : « . . . ولكن ، ومع مرور الزمن ، أصبح أبو المخشي منقطعاً إلى سليمان ، وتاركاً ما عداه»[32] . ولعل انقطاع شاعرنا إلى سليمان كان سبباً في جلب العداوة عليه ، وذلك بسبب المباعدة التي كانت قائمة بين الأخوين ، بسبب التنافس على ولاية العهد .

إن التنافس السافر بين الأخوين وقيام العداوة بينهما انتهى بشاعرنا أن يكون هو ضحية وأن تصبح حياته إنعكاساً للمشاحنات بينهما . وتفصيل ما أصاب شاعرنا منه كان محل اهتمام كبير من قبل المؤرخين ، بوصفه الحدث الأهم في حياة عاصم ، ونقطة تحول مهم في شعره ، ويورد ابن الخطيب الصورة الكاملة لما حدث على الوجه الآتي :

> **«قال سليمان ـ يعني الرازي ـ وكان مع ذلك منقطعاً ـ أبو المخشي ـ إلى سليمان بن الأمير عبدالرحمن بن معاوية ، كثير المدح له ، على أنه ماأخلى الأمير هشام في مدحه ، وهو مع ذلك لايسل سخيمته وحقده عليه ، لانحطاطه في شعب سليمان أخيه ، وبينهما من التنافس والمشاحنة ، ما لاشيء فوقه .**

ورُوي أن الذي هاج غضب هشام عليه ، أن قال له الساعي عليه : قد عرّض بك بقوله في مديح أخيك سليمان في شعر له فيه منه .

وليس كمن إذا ما سيل عُرفا يقلب مقلة فيها اعورار[33]

وكان ابن هشام أحول[34] ، فاغتاظ لذلك . وركب فيه من المثلة وركبه وحقد عليه ، إلى أن استدعاه إلى مدينة ماردة ، وهشام يومئذ واليها في حياة

الأمير أبيه ، فخرج إليه أبو المخشي من قرطبة طامعاً في نائله ، غير مرتاب بباطنه ، فلما دخل عليه قال له يا أبا المخشي ، إن المرأة الصالحة التي هجوت ابنها فقذفتها ، فأفحشت سببها ، قد أخلصت دعاها لله في أن ينتقم لها منك ، فاستجاب لها ، وسلطني وتأذن بالاقتصاص لها علي يدي منك ، ثم أمر فقطع لسانه ، وسملت عيناه ، وعولج من جراحه فاستقل منها ، وعاش زمناً ممثلاً به ، فأما لسانه فانجبر بعد وقت إلا قليلاً ، واقتدر على الكلام إلا تلعثما كان يعترضه ، واستمر العمى ، فعظم عليه مصابه ، فكثرت في شكواه أشعاره»[35] .

الرواية السابقة ، بالتفصيلات التي رويت بها ، تغطي جوانب المشكلة التي وجد شاعرنا نفسه فيها ؛ كما أنها تلمح إلى الأطراف التي كانت طرفاً فيها . ومن خلال التمعن في هذه الجانب يتحدد الموضع الذي وجد أبو المخشي نفسه محصوراً فيه بين أطراف النزاع ، وهو نزاع كان نتاج العلاقة القائمة على التنافس المفضي إلى العداوة المطلقة بين الأخوين ، سليمان وهشام . أما بالنسبة لشاعرنا ، فتشير الرواية بوضوح إلى أنه كان موصولاً لهشام أيضاً ، بالرغم من انقطاعه لسليمان ، وإعطائه نصيبه الأوفى من المدح والثناء ، ولعله في هذا التوجه أراد أن يبقي على صلاته مفتوحة ومتوازنة لدى الاثنين . وعلى الرغم من عدم توافر شعر قاله شاعرنا في هشام ، مثلما أكثر منه في سليمان إلا أن ابن ظافر الأزدي ؛ وعند إيراده سبب استدعاء هشام لأبي المخشي ، بعد ما علم بتعرضه له فيما قاله عنه شعراً ، يقول بأن سبب ذهاب أبي المخشي إلى هشام كان تطوعاً وليس بسبب استدعاء : «ثم اتفق لأبي المخشي أن مدح هشاماً ووفد على ماردة»[36] ، وبهذا المقتضى لم يكن ثمة مايمنع شاعرنا من الارتحال إلى هشام طمعاً في أعطية ، كما كان حاله مع سليمان ، وإن كان غلب عليه قوة صلاته من الأخير .

إن حرص أبي المخشي على الإبقاء على صلاته مفتوحة مع أطراف النزاع ، كان بلا جدال سبباً في وقوعه في شراك المشكلات دون أن يكون منتبهاً لها والحذر من عواقبها . ولعل مما أدى إلى تضخم مشاكله عدم قدرته على حفظ

التوازن في علاقته بالأخوين ، سليمان وهشام ، على حد سواء . إن تغليب ميله إلى سليمان على هشام ، كان عامل الحسم الأكبر في هذا الأمر . حيث انتهى الحال بالشاعر إلى أن عُدّ من رجال سليمان ، ومن بطانته المقربين . كما أن تردي العلاقة بين الأخوين على هذا النحو كان كفيلاً بتكوين بطانة منتفعة حولهما ، وهي قضية تنبه لها مؤرخ محدث وشرحها قائلاً : «بسبب العلاقة التي كانت قائمة بين الأخوين ، نمت حول الأميرين ، سليمان وهشام بطانة رأت مصالحها تتقوى في تعميق العداوة زيادة»[37] ، وتؤدي من ثم إلى تهيئة حالة تربص لدى البطانتين لاستغلال كل قول وفعل لإثارة المباغضة ونكء الجروح . وقد حانت الفرصة التي كانت بطانة هشام تنتظرها في بيت شعر زعم أن شاعرنا تعرض فيها إلى عاهة في أميرهم ، وهو حول في عينيه . وقد بين صاحب «الذيل والتكملة» ماحدث بقوله : «إن هشام بن عبدالرحمن كان يشنؤه لانقطاعه ـ شاعرنا ـ إلى أخيه فبغى عليه عنده ، وأُنشد له أبياتٌ فيها قيل إنها صنعت على لسانه ، وإنما له بيت واحد قصد به معنىً فحرفه الساعي عليه إلى غيره»[38] ويزيد ابن القوطية شارحاً : «وكان أبو المخشي شاعر الأندلس في أيامه . فمدح سليمان بن عبدالرحمن بشعر ، وتوهم عليه فيه أنه عرّض بهشام أخيه»[39] .

الروايات السالفة ، باختلاف صورها ، ورواتها ، تكاد تجمع على أن شاعرنا لم يكن سوى ضحية لمزاعم ودسائس ، وأنه لم يشر إلى هشام بإساءة ، ولم يتعرض لعاهة فيه ، وأن الأمر لايعدو أن يكون وقيعة أراد فيه المغرضون أن يتجاوزوا إحداث مزيد من التباعد بين الأخوين ، إلى إلحاق إساءة شخصية بأبي المخشي نفسه . ويعزز ذلك المفردات التي استعملها المؤرخون أنفسهم ، مثل «فحرف الساعي . . . وتوهم عليه . . . وصنعت على لسانه» .

أما عن العقاب القاسي الذي أوقعه هشام بشاعرنا ، فهو أيضاً من القضايا التي تناولها المؤرخون بشيء من الاختلاف ، ففي الوقت الذي أكد فيه معظم

المؤرخين إيقاع هشام العقاب ، إلا أن الخلاف كان في نوعه ، أكان قطع اللسان ، أم سمل العينين ، أم الاثنين معاً . أشار ابن الخطيب كما مر بنا إلى الاثنين معاً ، لكن ابن سعيد وابن ظافر يكتفيان بالإشارة إلى قطع اللسان فقط[40] . ويجنح الاختلاف كلية عند ابن القوطية ، حينما يقول : «وتعصب متعصب لهشام فسمل عينيه»[41] ، بمعنى أن موقع العقاب ليس هشاماً نفسه ، ولكن أحد المتعصبين له .

ويجدر بنا أن نضيف أن لكل فريق من المؤرخين مستنده فيما ذهب إليه ، فالقائلون بسمل العينين ، يستندون على شعر يشتكي فيه شاعرنا من العمى :

خضعت أُم بناتي للعدى ... إذ قضى الله قضاءً فمضى
ورأت أعمى ضريراً إنَّما ... مَشيُه في الأرض لمسٌ بالعصا
فاستكانت ثم قالت قولةً ... وهْي حَرَّى بلغت منِّى المَدَى
ففؤادي قَرِحٌ من قولها ... ما من الأدواء داءٌ كالعَمى
وإذ نال العمى ذا بصرٍ ... كان حيًّا مثل ميت قد ثوى
وكأن الناعم المسرور لم ... يكُ مسرورا إذا لاح الردى
عانى بالقرب وهنا طرب ... بيَّن لجَّ في الحِمَا
. . . . . كيف يعتاد الصَّبا من لايرا
أبصرت مستبدلا من طرفه ... فأنذا يسعى به حيث سعا
بالعصا إن لم يقُده فإنه ... وسؤال الناس يمشي إن مشا[42]

أما القائلون بقطع اللسان ، فإنهم يستندون إلى ماقيل عن بقاء العاهة لديه ، وأنه لم يكن يقدر على الكلام إلا تلعثماً . ولكن مستند هذا الفريق يذهب إلى أبعد من ذلك ، وإلى ماورواه محمد بن إبراهيم بن مُزين الأودي ، (أحد

شيوخ المالكية الأندلسيين الذين درسوا مع الإمام مالك في المدينة ، ت 183هـ) بقوله ما قاله له مالك بن أنس : «من قطع لسانه استُونى به عاماً ، قد بلغني أن بالأندلس من نبت لسانه ، فإن لم ينبت أقيد» . ويوضح ابن ظافر الأزدي هذا الأمر ، نقلاً عن ابن حيان قائلاً : « . . . وعلى ذكر أبي المخشي وقطع لسانه ، كان مالك رضوان اللّه عليه يفتي فيمن قطع لسان رجل عمدا بقطع لسانه بعد أن قطع بمقدار سنة ، وأنه تكلم به ، فقال : ينتظر سنة فقد ثبت عندي أن رجلا بالأندلس نبت لسانه بعد أن قطع في نحو هذه المدة»[43] .

أما عن بقاء هذه العاهات التي أحدثت في أبي المخشي ، فإن الاتفاق السائد عند المؤرخين بأنه «عولج من جراحه ، فاستقل منها ، وعاش زمناً ممثلاً به ، فأما لسانه فانجبر بعد وقت إلا قليلاً ، واقتدر على الكلام إلا تلعثماً كان يعترضه ، واستمر العمى ، فعظم عليه مصابه ، فكثرت في شكواه أشعاره»[44] ، ويستطرد ابن الخطيب ، على نحو ما أكده من قبله من استمرار عاهة أبي المخشي في لسانه ، «أنه حينما بلغ الأمير عبدالرحمن بن معاوية صنيع ابنه هشام بمادحهم أبي المخشي ، فساءه وكتبه إليه يعنفه ، وأوصل أبا المخشي إليه عند استيلايه بعد حين ، فاعتذر إليه ورقّ له ، وأنشد بعض ما أحدثه بعد ، فكان لايبين الإنشاء ، فينشد له صبي قد علمه ودربه»[45] .

أما عن العقاب القاسي الذي أوقع بأبي المخشي ، فهو غريب على هشام فهشام الذي عرف «بالرضى» أو «الرضا» لقباً ، عرف عنه السماحة والفضائل والعفو ، فهو لم يعرف عنه ارتكابه مايخل بهذه الصفات ، كما لم يُعرف عنه وقوعه في زلات المكائد والتآمر ، فالحكمة كانت من الخصائص التي يستنير بهداها ، قبل تولي الإمارة أو بعدها . ولاشك أن ماحدث بينه وبين أبي المخشي هو من النوادر المسجلة عليه ، بما يخالف ما نعرفه عنه .

لقد تبين لنا من البراهين مايكفي لأن نقول بأن اتهام شاعرنا بالتعرض

لهشام شعراً كانت ملفقة ومدبرة ، ولكن مع ذلك كله لانرى نحن هشاماً يبدي حرصاً من أجل التحقق مما حمل إليه ، ووقع مستسلماً أمام الذين أصروا ملحين «عرض بك ولم يرد سواك»[46] ، ومن ثم استدعى متهماً غافلاً عن تهمته ، وعند مثوله أمامه واجهه بتهم لاعلاقة لها بالتهمة التي استدعاه من أجلها وبعدها أوقع به ذلك العقاب الفريد والشديد ، الذي يتنافى مع ماعُرف عنه .

إن تضارب جوانب القضية السابقة : اللين المعروف عن هشام ، والقسوة التي أوقع بها العقاب ، وتخليه عن حرصه المألوف ووقوعه تحت تدابير المتآمرين . وكذلك عدم توافق الجزاء مع التهمة المزعومة ، تجعلنا أميل إلى الظن بأن القضية ليست كما صورت ، ولكن هناك ثمة ما يدعو إلى مزيد من التحري عنها .

لقد قيل مايكفي عن خلق هشام ، وصعوبة القبول بارتكابه مثل تلك القسوة مع أبي المخشي ، ولكن حتى مع القبول بهذا الأمر ، إلا أن هناك ما يغري بالتساؤل عن حقيقة سبب استدعاء هشام لأبي المخشي إلى مقر إمارته في ماردة ، ومساءلته بتهمة غير تهمة التعرض لعاهة الحول في عينيه ، فعند مثول الشاعر بين يديه ، لم يجابهه هشام بالتهمة التي قيل إنه استدعاه من أجلها ، ولكن بدلاً عنها فاتحه بتهمة عامة وبعيدة عن التهمة نفسها ، السؤال هنا ، لماذا فعل هشام ذلك؟ ، هل لمعرفته بعدم صدق التهمة؟ أم لضعفها؟ فالشاعر لم يتعرض ـ في حالة تعرضه ـ إلا لحالة كانت موجودة فيه أصلاً ، وهل التعرض لمثل تلك العاهة يستوجب كل ذلك الحقد والشدة؟ ، وهل كان هشام يعرف أصلاً بعدم ثبوت تهمة التعرض وأنها ملفقة؟ ، لذلك استعاض عنها بتهمة معروفة ومتداولة عن أبي المخشي وهي سلاطة لسانه وبذاءته وتأذي الناس منه .

إن مجمل هذه التساؤلات ، التي لاشك أنها في حاجة إلى إجابات ، تقوى من الظن بأن مالحق بأبي المخشي من عقاب كان له أسباب أخرى ، لم

يفصح عنها هشام ، ولم يدركها رواه سيرته ، أسباب ظلت دفينه لأنه لم يكن هناك سبيل للإفصاح عنها ، خاصة من قبل هشام نفسه .

يشدد رواة سيرة أبي المخشي عند الحديث عن العقاب الذي أوقعه هشام عليه ، وربط ذلك بأسبابه إلى الإشارة إلى جفوة العلاقة التي كانت قائمة بين الأخوين ، سليمان وهشام ، من مباعدة وبغضاء وتنافس . مما حدا ببعضهم إلى استعمال عبارات مثل : «مالاشيء فوقه»[47] أو «تباعد مفرط»[48] وبالمثل ، يربط هؤلاء بين هذه العلاقة المتردية بين الأخوين وبين حنق هشام المتعامي على أبي المخشي لانقطاعه لأخيه سليمان «وكان هشام يشنؤه ذلك فبغي عليه عنده»[49] ، وجعلوا بناء عليه من انحياز الشاعر لسليمان الدافع الأول لتشدد هشام في العقاب ، متخلياً بذلك عما عُرف عنه من لين وتسامح .

ولكن بالرغم من كل تلك التأكيدات ، لم يفصح رواة السيرة عن الأسباب المفضية لذلك التباعد والتنافس بين الأخوين ، لا من جهة هشام ، ولا من جهة سليمان أيضاً . نحن نقرأ عن التنافس والتباغض والتباعد بين الاثنين ، ولانقرأ شيئاً البتة في المقابل عن الأسباب المحرضة لذلك .

هناك إذن حلقة مفقودة بين قضية النفور القائمة بين الأخوين ، وبين معرفة جوهر أسبابه ، ومن ثم تداعياته . ولأن المعلومات متباينة ، كما أسلفنا ، لايسعنا عند ذلك سوى اللجوء إلى الافتراض ، والقول إن ثمة سبباً غير معلن ربما كان له أثره في تحريك هذه العلاقة وزرع الجفوة بين الاثنين . إذ في ما عدا ذلك يصعب تلمس سبب منطقي آخر للأمر . فمن حيث علاقة سليمان وهشام بأبيهما عبدالرحمن ، هناك من الأدلة مايكفي لكي نقول بأن عبدالرحمن كان يعدل في تربيته وتنشئته للاثنين ، فنحن لانعرف تفريقه بينهما في المعاملة والرعاية . وعلى الرغم من أن البحث سوف يعود لتفصيل ذلك لاحقاً ، فنحن نستدل على مبدأ التساوي الذي حرص عبدالرحمن على تطبيقه على ابنيه ،

بإعطائه الثقة لهما ، وتحميلهما المسؤولية بالتساوي . وذلك في إنابة سليمان من قبله والياً لمدينة طليطلة ، وإنابة هشام على ماردة[50] .

من جانب سليمان وهشام ، ربما أدى نجاحهما في القيام بما حملا به ، وازدياد الخبرة لديهما وتمرسهما بها مع مرور الوقت ، إلى إذكاء التطلعات المتنامية في نفسيهما ، لاسيما مع تنامي الشعور بأن أيام حكم والدهما قد دخلت مراحلها الأخيرة ، لتهيئة أنفسهما لخلافته ، مع اعتقاد كل واحد منهما بأنه الأحق والأقدر على الأمر دون أخيه ، فكلاهما يملك من الصفات والشروط المتوافرة ما يؤهله لذلك ، ولاشك أن إحجام عبدالرحمن نفسه عن البت في الأمر كان له أثره في تغذية هذه الطموحات[51] .

إن حصر سبب المشاحنة بين الأخوين في المنافسة التي كان يؤججها تنافسهما على الفوز بولاية العهد ، تمكننا من القول بأن هذا الأمر كان محتوماً عليه أن يؤدي إلى ظهور معسكرين حول الاثنين ، يتنافس فيه كل معسكر على نصرة صاحبه في هدفه ، والتأكيد على استحقاقه دون الآخر للأمر ، والمنافحة عنه بما يقوي من عزمه ، ومن خلال ذلك رأينا كيف تعمد الفريق المناصر لهشام الإيقاع بأبي المخشي ، وتعريضه لذلك العقاب القاسي على يد هشام ؛ لأنهم رأوا فيه ما يمثل خطراً عليه ، وهشام بدوره كان غاضباً على الشاعر لا لأمر آخر سوى تحزبه لأخيه سليمان ، وانحطاطه في شعره .

لم يكن تحزب أبي المخشي لعصبة سليمان تحزباً ساكناً مثل تحزب الآخرين الذين لانعرف عنهم شيئاً ، ولو كان كذلك لربما هان الأمر على هشام ، ولما كان مجلبة للغضب والحنق اللذين استوليا عليه ضده ، لكن تحزب شاعرنا كان على النقيض من ذلك تحزباً مدوياً حمل فيه النفع لسليمان ، والضرر لهشام ، وهما في أشد تنافسهما غير المعلن ، لبناء السمعة وترسيخ المكانة ، من أجل تأكيد استحقاقهما بولاية العهد . وقد أتى تحزب الشاعر لمعسكر سليمان في الوقت الذي كان فيه «شاعر الأندلس» كما وُصف[52] ، «ومادح بني أمية ، المخلف فيهم

قوافي الشعر المديح الشاردة» كما أقر بذلك[53] ، ولأن شاعرنا كان في تلك المكانة من التميز وعلو الشأن ، وبالأخص في أعين الأمويين أنفسهم ، ولذلك كان موصول الكلمة ، متبوع الأثر . فما يقوله كان حرياً به أن يشيع وينتشر ، يرفع من شأن الممدوح ، ويضع من مكانة المهجو ، فالشعر كما هو معروف عنه ، يملك هذه القوة الفعالة ، لاسيما حين يوظف في ظرف مثل تلك الظروف المحيطة بالقضية المطروحة .

لايُعرف على وجه التحديد أسباب تحزب شاعرنا لسليمان دون أخيه هشام ، لعل النوائل والعطايا لم يكونا ذا أثر في تحديد مواقفه من الاثنين ، فقد كان ينال منهما على قدر سواء ، كما أننا لانرى في الصفات الأخلاقية المعروفة للاثنين مايدعو لأن يكون أحدهما أجدر بالتقرب إليه دون الآخر ، وإن كنا في الحقيقة من خلال ماكتب عنهما ، نعرف لين طباع هشام ، وجفاء طباع سليمان[54] ، لكن ذلك لم يمنع شاعرنا من أن يميل إلى سليمان ، ويبتعد عن هشام .

لكن ، تبقى مع ذلك احتمالات القول بأن ميل شاعرنا إلى سليمان لم يكن دونما سبب ، فهناك مثلاً احتمال اجتماع شاعرنا مع سليمان في عصبة «الشامية» الأندلسية ، حيث إنه من المعروف أن سليمان كان يشار إليه «بالشامي»[55] ، وأبو المخشي معروف عنه أنه كان من جند الشام ، ومن «الدمشقيين تحديداً» . والاثنان كانا بهذا المعيار من رعيل «الداخلين» إلى الأندلس من المشرق حسب تصنيفات الأندلسيين لأنفسهم في التمييز ، على النقيض من هشام الذي كان ـ بالمعيار الأندلسي أيضاً ـ من «المولدين» ، باعتبار ولادته في الأندلس ، ولكون أمه من الأسبانيات[56] ، ولعل عبدالرحمن نفسه كان مدركاً لهذا الواقع ، فقد أكد عليه في وصيته بأن «سليمان له فضل سنه ونجدته وحب الشاميين له»[57] ، بمعنى أن سليمان كان يستمد محيطه من محيط الشاميين ، ويتقوى من عصبتهم . إذن لاغرابة أن جمعت هذه العصبية الشامية كلا من

سليمان وأبي المخشي في معسكر واحد وبطانة متآلفة ، يجتهد فيها أفرادها على تعزيز قوة صاحبهم ، وتهيئته للأمر الكبير من بعد والده ، ومن البديهي أن وجود مثل أبي المخشي في ذلك المعسكر كان له أثره الفعال في تثبيت مكانة سليمان وترسيخ اسمه لدى الجميع ، ولاجدال في المقابل ، أن ذلك الأمر كان مما يثير حفيظة هشام ، ويملأ قلبه غضباً على أبي المخشي ، لاسيما وأنه كان يفتقد إلى صوت مدو مثل صوته ، ولايملك القدرة على إسكاته في أضعف الأحوال[58] .

إن الأثر الفعال والحاسم للشعر عموماً ، وأثر ماكان شاعرنا يضطلع به من الدعوة إلى سليمان ، بدأ في جذب الانتباه مع انبراء صاحبنا في دعوة المناصرة على النحو الآتي :

ماذا تسايل عن مواقع معشر ... أودى بهم طلب الذي لم يقدر
رشد الخليفة إذا غووا فرمامهم ... بالموبذى بالحزم والمتأزّر
فغدا سليمن السماح عليهم ... كالليث لايلوى على متعذر
عاداهم متقنعا في مأزق ... في الموت من نجس العوارض الممطر
أماسليمن السماح فإنه ... جلى الدجا وأقام سيل الأصعر
وهو الذي ورث الندى أهل الندى ... ومحا دجنة يوم وادي الأحمر
بعد القتلى بالمخايض أصبحت ... جيفا تلوح عظامها لم تقبر
فالليل فيها للذباب عرايس ... ونهارها وقف لنهش الأنسر
أفنانهم سيف مبير صارم ... في قسطلونة وبل بوادي الأحمر
هات عنك ماهربت مخافة ... منه فقع يا ابن اللقيطة أوطِرِ[59]

الأبيات السابقة على الرغم من أنها قيلت تمجيداً لانتصار آخر حققه عبدالرحمن الداخل على مناوىء واحد من الذين وقفوا أمامه في سبيل إقامته للدولة الأموية للأندلس ، يلاحظ هنا هو أن تركيز الشاعر لم يكن على

عبدالرحمن ، الذي يقود الجيش نفسه ، بل على سليمان الذي كان يحارب تحت إمرة أبيه ، وكأن الشاعر بذلك تناسى القائد ، وأولى سليمان جل اهتمامه . إن اسم سليمان يرد في القصيدة مرتين ، على حين ليس هناك ذكر لعبدالرحمن ، وليس هذا فحسب ، بل ترى البطولة والانتصار تنسبان إليه ، مع تشبيهه إياه بالليث الذي يرمي بالموت أعداءه . وفي كل ذلك نرى المجد لسليمان ، والعمل له ، وهو بذلك صاحب الحق في المآثر والتقدير .

إن تمجيد أبي المخشي لانتصارات الأمويين على أعدائهم هو أمر متوقع منه ، فهو مادحهم والشاعر الناطق بلسان أحوالهم ، إذ ليس هناك مايدعو إلى الدهشة إذا ما فعل هو ذلك ، لكن يظل هناك تعارض تفسيري عن المتلقين لمثل تلك الأبيات على اختلاف أهوائهم بين ماهدف إليه الشاعر بوصفه جزءاً من ممارسة واجباته المتوقعة ، وبين آذان مترقبة لاتسمع ماقيل ضمن إطارها المقصود ، بل تفسره بمقتضى اهتمامها وترصدها الخاص ، ونعني بهؤلاء هشاماً وأهل خاصته ، فهؤلاء يرون أن الشاعر قد تجاوز أغراضه العامة إلى أغراض خاصة ، سعى من خلالها إلى تمجيد سليمان ، وإبراز مآثره . وطبيعي أن ذلك لايقع في موقع القبول منهم ، لاسيما حينما يرونه لايتمادى في إثبات ما قام به في المعركة المشار إليها فحسب ، بل في تأكيده أنه المستحق للأمجاد مستقبلاً ، والوارث لها ، «وهو الذي ورث النَّدى أهل النَّدى» كما جاء في بيت في القصيدة وهو تعبير مباشر ، كما فطن إلى ذلك مؤرخ محدث[60] ، يشير إليه بطرف خفي إلى أن سليمان أحق بولاية العهد من غيره . وخاصة أننا نعرف أن الشاعر ألمح إلى عبدالرحمن ، في قصيدة أخرى بأنه أهل الندى[61] ، وعليه فإن أهل الندى هو وارث أهل الندى ، كما يوحى بذلك قصد الشاعر .

إن الأبيات السالفة ، والخلاصة التي وصلنا إليها ، فضلاً عن ذلك البيت المعروف الذي عده المؤرخون السبب الذي أدى بهشام إلى إنزال العقوبة بأبي

المخشي ، كما تعرضنا إلى ذلك سابقاً ، تمكننا الآن ـ بعد النظر إليها جميعا ـ من القول بأن الشاعر في أمثال ماكان يقول ، كان يتعدى المدح إلى التفضيل ، ولايتوقف عند التفضيل فحسب بل يتعداه إلى إظهار النقائص أيضاً ، فهو بهذا لايكتفي بمدح أفراد البيت الأموي ، بل يتجاوز ذلك إلى إعطاء سليمان عناية خاصة ، يبرز شجاعته وإقدامه في الحروب ، بل يرشحه للتفرد ، واستحقاقه الولاية من بعد والده . ويتمادى بعد ذلك في إظهار الفوارق بينه وبين أخيه ، وإن لم يسمه بالاسم ، ولكن في صور لايبدي فيه حرصاً على إخفاء ما كان يبطنه . ففي ذلك البيت الحاسم ، سواء قاله الشاعر أو حيك على لسانه ، يظهر التضاد بين مايوصف به سليمان «إذا ما سيل عرفاً» ، وبين هشام الذي يقلب «مقلة فيها أعورار» . إن التمايز هنا فيما هو ظاهر ليس بين من يملك صحة الحواس ومن لايملكها ، ولكنه بين من يملك القدرة ومن لايملكها .

إن ما كان أبو المخشي ينافح به عن سليمان شعراً ، كان في الآن نفسه يصيب عصب الجرح عند هشام ، في زمن تلاحقت فيه المنافسات المضمرة بينهما ، لم يكن يرضى هشاماً ويسكنه تمجيد صورة أخيه في الأذهان من خلال شعر أبي المخشي المتداول بين الناس ، بل ماكان يحنقه أكثر ، هو فقدانه للوسيلة الفعالة التي كسبها سليمان إلى جانبه .

لذا لم يعد أمام هشام سوى العمل على إسكات بوق غريمه ، وهذا لم يكن يتحقق سوى بالتحايل على الإيقاع به ما أمكن ، لايهمه في ذلك التخلي عن لين الخلق وما عرف بها من الصفات الحسنة ، كما أنه لم يعد يهمه إذا ماكان الذي نقل إليه صحيحاً أو منتحلاً ، فهو فيما يبدو كان قد قرر أن يضع حداً لما كان يحنقه دون التحقق من التهم ، فهشام الذي يبدو أن التنافس قد أفقده صوابه ، كان قد عقد عزمه دون أدنى حساب للعواقب ، أن ينهي ما أقلق مضاجعه طويلاً . وعليه وعندما مثل الشاعر أمامه ، وهو لايدري بما ينتظره ،

واجهه بغضب جارف أظهر فيه نفسه كمقتص للأمهات اللواتي تأذين مما أفحش به الشاعر فيهن وفي أبنائهن ؛ «يا أبا المخشي ، إن المرأة الصالحة التي هجوت ابنها فقذفتها ، فأفحشت سبها ، قد أخلصت دعاها الله في أن ينتقم لها منك ، فاستجاب لها ، وسلطني بالاقتصاص لها على يدي منك»[62] لم يكن بمقدور هشام سوى اللجوء إلى هذه الوسيلة لإيقاع العقوبة على أبي المخشي ، فالتهمة التي واجه هشام أبا المخشي بها لم يكن بمقدوره أن ينفيها ، فهي كانت ملتصقة به أصلاً ؛ إذ لم يكن بمقدور هشام أيضاً الإفصاح عن التهمة الحقيقية التي كانت توغر قلبه على الشاعر .

في جانب وثيق الصلة بالعقوبة التي تعرض لها أبو المخشي ، وبالتهمة التي واجهه بها هشام قبيل إنزالها عليه ، يولي رواة سيرة الشاعر قدراً لابأس به من الاهتمام للحديث عن بذاءة لسان الشاعر ، وفحشه وغلظته ، بل يصر البعض منهم على أن تخلق الشاعر بهذه النزعة كان السبب لكل ما تعرض له من المآسي في حياته ، ويزيدون على ذلك ويرون أن العقاب الذي نزل به كان مسوغاً ومستحقاً بسبب فساد خلقه وبذاءة لسانه ، قال فيه ابن الخطيب : «وقد كان في لسانه بذاءة زايدة ، يتسرع بها إلى من لم يوافقه من الناس ، فيقذع هجومه ، ويقذف نساءهم ويهتك حرمهم وكان أفاكاً نهاباً ، لايعدم متظلماً منه ، وداعياً عليه ، وذاكراً له بالسوء ، وهو مستهزئ بذلك جار على غلوائه»[63] .

وذكر ابن ظافر الأزدي ، بصيغة أقل حدة ، «كان خبيث اللسان ، كثير الهجاء»[64] . ولم يتخلف أغلب الرواة الآخرين لسيرة شاعرنا عن التلميح بهذه الصفة أيضاً .

ولكن ، على الرغم من هذا الإصرار ، لايستند الرواة فيما يذهبون إليه من تأكيدهم بذاءة لسان أبي المخشي ، إلا على بيت شعر يتيم يستشهدون به . وشاهدهم اليتيم هذا في الحقيقة ، ليس سوى بيت فيه رد من أبي المخشي على

شاعر آخر كان قد عيره ، بما كان يصيب جرحا فيه ، وهو التذكير بأصوله النصرانية ، وبه راح خصومه من الشعراء كما يقول ابن سعيد ، «يطعنون في نسبه»[65] ، أو كما يقول مؤرخ محدث «كانت ثغرة متاحة يستغلها أعداؤه لهجوه وتعييره والطعن في نسبه»[66] ، إن تفصيلات هذه القضية ، على أية حال ، يشرحها ابن ظافر الأزدي على الوجه الآتي : « . . . وكان بينه ـ أبو المخشي ـ وبين ابن هبيرة مهاجاة شديدة[67] ، فاجتمعا يوما للمناقضة فيه ، فقال له ابن هبيرة وعيره بأن نسبه إلى النصرانية لأجل أن آباءه كانوا نصارى بقوله :

أقلفـــتك التي قطعت بشـــوش دعـتك إلى هجـائي وانتـقـالي

الانتقال : الشتم ، فقال أبو المخشي مسرعاً :

ســألت وعند أمك من خـــتـاني بيانٌ كـان يشفى من سؤالي[68] .

في الحقيقة أن قضية نصرانية أبي المخشي ، هي من القضايا التي اختلفت الآراء حولها اختلافا بينا . ولعل مرد ذلك أنها كانت المنفذ الذي لم يجد أعداؤه غيره لإثارتها ، وهي من النقائص التي وجدت عليه واستعملت ضده ، ولعلها كانت مما تسلبه قوته وتثير فيه الحفائظ ، فعلى الرغم من الإشارات الواضحة ، من رواة السيرة إلى أن المقصود هو التنبيه إلى الأصول البعيدة لنصرانية أسلافه القدامى ، فهم الأمر عن البعض وكأنه يقصد به حداثة عهده بها ، مثلما فهم ذلك مؤرخ محدث وقال «كان على النصرانية إبان دخوله الأندلس ، وأسلم بها ، وختن عندئذ بعد إسلامه في شوش»[69] ، والقول هذا لاجدال افتراض بعيد الاحتمال ، إذ لايعقل أن يكون عاصم وأبوه زيد على النصرانية ، في جيش هشام بن عبدالملك الذي أرسل إلى المغرب سنة 123هـ بقيادة كلثوم بن عياض القشيري للقضاء على ثورة الخوارج التي اشتعلت هناك .

إن بذاءة لسان شاعرنا هو أمر ثابت عليه ، ولاسبيل إلى نفيه قطعاً ، صحيح أننا لانملك من الشواهد سوى الشاهد اليتيم ، وهو الذي أشرنا إليه

سلفاً ، ولكننا نعرف أيضاً صيغة التهمة التي واجه به هشام شاعرنا حينما أتى إليه في ماردة ، من أنه يقتص منه للأمهات اللائي تأذين من فحش لسانه ، مما يؤكد شيوع تلك النزعة فيه ، وإن لم تحفظ شواهدها . ولكن قبل القطع في الأمر نهائياً ، ينبغي علينا القول بأن البذاءة بقدر ماكانت معبرة عن لسان صاحبها وأخلاقه ، كانت أيضاً تعكس التجارب الصاخبة والقلقة التي عاشها شاعرنا وتلونت بها حياته وانطبعت بها ، ومن ثم عبرت عن نفسها فيما عبّرت . فالقضية لايمكن عزو سببها ونشأتها إلى «نشأة شاعرنا الأخلاقية التي كانت تنقصها الرعاية وحسن التوجيه والبيئة الصالحة» ، كما خلص إلى ذلك عبدالسلام الهراس ، واستطرد ، «مما جعله عرضه للانحرافات في أخلاقه وتعقيدات في نفسيته ، كانت المسؤولة عن سوء علاقته بالناس وعن مأساته الفظيعة»[70] . وذلك لأنه في حالة قبولنا بمثل هذا الافتراض ، نكون قد حصرنا التهمة بصاحبها ، وتجاهلنا في الوقت نفسه العوامل المؤثرة التي قد يكون الشاعر تأثر بها من خلال الظروف القلقة التي عايشها منذ دخوله الأندلس ومابعده . إن من الصعب حصر بذاءة أخلاق صاحبنا في تربيته الأسرية ، وتجاهل الأسباب الخارجية الأخرى التي من المفترض أنه تعرض لها في الأندلس ، لاسيما أنه عاصر مرحلة سياسية وقبلية تفشت فيها العداوات وتنابزت الطوائف فيها بالألقاب .

إن رحلة أبي المخشي من المشرق إلى أن وطئت أقدامه الأندلس مروراً بالمغرب ، لم تكن رحلة عادية الظروف ، بالمعنى المتعارف عليه . ونحن وإن كنا قد استبعدنا أنه كان جندياً محارباً في الجيش الذي أرسل إلى المغرب للقضاء على قوة الخوارج هناك ، بسبب سنه ، ورجحنا أنه كان مرافقاً لأبيه ، وقائماً على شؤونه ، فإن ذلك حتماً لم يكن حائلاً بينه وبين التعرض للأهوال التي تعرض لها الجيش ، من هزيمة كاسرة على يد الخوارج أولاً ، ومن ثم انشطاره قسمين ، كان فيها صاحبنا وأبوه ضمن الجيش الذي اضطر للانحياز غرباً ، إلى أن أقفل

عليه الخوارج في سبته ، تعرض فيه الجيش في حصاره هناك إلى شدة بالغة ، حتى بلغ الحال بأفراده إلى أن «أكلوا دوابهم وأكلوا الجلود وأشرفوا على الهلاك»[71] ، كما قيل .

بعد طول معاناة ، ومفاوضات مرهقة ، سُمح لهذا الجيش بالانتقال لاحقاً إلى الأندلس ، لا ترحيباً بهم ، ولكن لحاجة «البلديين» الأندلسيين إليهم ، فهؤلاء كانوا أيضاً يعانون من نمو قوة البربر عليهم في الأندلس . ومن تلاقي مصالح الفريقين ، الجيش الوافد وعرب الأندلس ، لما عاناه الفريقين على يد البربر في الأندلس والمغرب ، حمل الجيش المتآلف حملته على البربر ، حققوا فيه انتصارات متلاحقة ، مما نتج عنه نزوح البربر من الأندلس بعد الهزائم ، بإصرار من واليها عبدالملك بن قطن الفهري .

أدى انتصار المعسكرالعربي ـ تآلف البلديين والشامية الوافدة ـ على البربر وإخراجهم من المسرح السياسي في الأندلس إلى خلو الساحة الأندلسية بعد ذلك . لكن هذا التآلف ، كما كان محكوماً عليه ، لم يكن له أن يدوم ، وذلك لتضارب مصالح الفريقين في المقام الأول ، فالشامية الوافدة ، وقد انتشت بفعالية دورها في محاربة البربر ، أبدت الآن رغبة التحلل من الشرط الذي كانت قد قطعته للبلديين الأندلسيين بالخروج من الأندلس حال انتهاء المواجهة مع البربر ، وأخذت تعلن عن عزمها الاستقرار نهائياً فيها . والبلديون بدورهم لم يروا في قرار الشامية انتهاكاً لشرط معقود معهم فحسب ، بل رأوا فيه رجحان القوة إلى جانب الشامية (القيسية) في صراع القوى بين الطرفين في الأندلس . بدأت المواجهة المنتظرة تعبر عن نفسها بالكلام في أول الأمر ، حيث أخذت الشامية تسمع عبارات من البلديين مثل «بلدنا يضيق بنا : اخرجوا عنا . . . لامحمل فينا لهؤلاء الشاميين فليخرجوا عنا»[72] . لكن المواجهة سرعان ما تحولت إلى مواجهة عسكرية دموية شرسة ارتكبت فيها تجاوزات ، وتنامت فيها الأحقاد والضغائن ،

بسبب شعور الشاميين بالإجحاف من رفض بقائهم في الأندلس ، قابله إصرار البلديين على إخراجهم منها[73] . وقد استمر احتكام الطرفين للسيف ، على الرغم من فقدان الجانب البلدي لزعيمه عبدالملك بن قطن الفهري ، والشاميين لقائدهم بلج بن بشير القشيري ، ولم يهدأ الحال إلا عند دخول الأندلس واليها الجديد أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي .

استطاع الوالي الجديد تهدئة الأوضاع إلى أجل ، فهو لم يحقق لجند الشام رغبتهم في الاستقرار في الأندلس فحسب ، بل عزز شرعية بقائهم فيها بالاعتراف الرسمي برغبتهم ، ومن ثم توزيعهم على أنحاء الأندلس كل فريق على أرض تشبه في طبيعتها وهوائها أراضيهم التي قدموا منها في المشرق[74] . وفيه كان نزول شاعرنا وجماعته في قرية شوش مع جماعته من أهل دمشق . وكان هذا الإجراء كفيلاً بإنهاء المواجهة ، لولا أن عوالق الماضي التي كانت قد تسربت إلى النفوس ، وبقيت محركة للضغائن ، ومهيأة للبروز عند أول شرارة قد أثارت المواجهات مجددا ، وقد استمرت الحال كذلك إلى أن قدم الأندلس عبدالرحمن الداخل ، وأقام حكم الأمويين فيها .

إن إقامة عبدالرحمن لدولته في الأندلس ، لم تضع نهاية للفرقة والتحزب التي عانتها من قبل ، بل يمكن القول إن الصعوبات التي واجهها من قبل الذين عارضوه لإقامة الدولة كانت أشد وطأة وأعمق أثراً على الأندلس من ذي قبل . وعلى الرغم من تحقيق عبدالرحمن الناصر على المناوئين عليه في آخر أمره ، إلا أن طاقته المستنزفة في المواجهات العسكرية التي امتدت إلى مايربو عن ربع قرن ، وهي التي تشكل معظم سنوات حكمه ، كانت كفيلة بإضعاف شوكته في آخر الأمر ، وبإلقاء شيء من الشك على صلابة الحكم الذي أقامه هناك ، وذلك لأن المواجهات العلنية وإن كانت قد خبت وتوارت من الميدان تحت ضربات سيوفه ، إلا أن رواسبها لاتزال حيّة في دواخل نفوس أصحابها ، وبقيت في مكامنها ترقب فرصة الظهور والعمل .

إن قصة الأندلس مع الفرقة والتنافس ، والعداوات الناتجة بسببها هي في الواقع من العلامات الملازمة لها في كل مرحلة من مراحل تاريخها الطويل ، ولكن مثل هذه المواجهات كانت الأكر شيوعاً ، والأعمق أثراً في مراحل تاريخها المبكر ، لأن تلك المراحل كانت مراحل التكوين ، وهي التي عاصرها تحديداً أبو المخشي في الأندلس . إن العرض السريع لتاريخ الأندلس منذ أن دخلها شاعرنا وإلى وفاته فيها ، يظهر بجلاء أن أيامه فيها ، لم تكن هانئة أو هادئة أو حتى ذات ظروف عادية ، إذ إنه عاش في الأندلس أكثر أيامها قلقاً ، وامتلاء بالتناحر والشدائد . لم يمتلك صاحبنا من حيلة أمامها سوى أن يقع تحت وطأة معركتها ، وأن يبدي التحفز دوما لمواجهتها ، وذلك بما ملك من وسائل ، وأقوى أسلحته كان بالطبع الشعر .

بهذه المعطيات ، لعلنا نكون في وضع يمكننا من تفهم المسببات والخلفيات الكامنة وراء سوء أخلاق أبي المخشي وبذاءة لسانه ، فالتهم السريعة التي كيلت له ، لم تكن في الواقع سوى ردود فعل منه لمواجهات أشنع لم يملك إلا أن يرد عليها بمثلها . صحيح أن شاعرنا أبدى من بذاءة اللسان وفحش القول ما يمكن أن نحكم عليه بذلك ، ولكن معرفة الأسباب قد تكون سبيلاً لتلمس العذر له ، وتخفيف التهم عنه ، فقد كان ابن ظروفه ، يحارب لكي يواجه سوءها ، ويجادل من أجل أن يتقوى عليها ، سواء بما ألصقت به من تهم ، أو بما أوقعت عليه من عقوبات .

لقد مر بنا القول بأن أبا المخشي رافق أباه صبياً من المشرق ومروراً بالمغرب وإلى أن دخل الأندلس ، والأرجح أنه ، خلال رحلته الطويلة تلك ، لم يشارك في المعارك التي دارت رحاها في المغرب بسبب سنه ، وإن كان هذا لم ينجه من التعرض لأهوالها ، بيد أن مشاركته العسكرية كان لابد منها في المعارك التي اشتعلت في الأندلس فيما بعد بين الشاميين والبلديين[75] ، وذلك عند دخوله

إلى السن المؤهلة له لتحمل مثل تلك المسؤوليات . وفيما يبدو جلياً أن مسؤوليات المواجهة لأبي المخشي تضاعفت مع دخوله مرحلة الرجولة ، حيث لم تعد إسهاماته مقصورة على حمل السلاح فحسب مثل الكثيرين غيره ، بل تجاوزت ذلك إلى مسؤولية أهم ، وهي قول الشعر . فالمعروف أن ينابيع الشعر لديه قد تدفقت في هذه المرحلة ، ومع إحرازه الثبات في هذا الميدان ، غدا المتحدث بلسان قومه ، والمعبر عن آرائهم وتطلعاتهم ، ولم يعد عند إلقاء المتحاربين لأسلحتهم سبباً له لجمع شتات الأنفس والإخلاد إلى راحة الهدنة ، بل إن مثل تلك الأوقات كانت تضاعف من جهده ، فحينئذ يكون للشعر مطلب خاص . فالعوالق المتسربة في النفوس التي لاتحسمها الحروب ، ولايزيلها قراع السيوف ، يغدو فيها للشعر منافذ للتعبير عن المكونات والذود عن الحياض ، وفي خضم هدنة أو مواجهة ، لم يعد توقف الحروب أو استعارها ذا فرق عند شاعرنا ، فهو مثلما كان يحمل السيف في أوقات اشتعالها ، كان يلجأ إلى قلمه حين توقفها ، يتلقى سهام الكلام ، ويرد عليها بسهام شعره . على الرغم من أن ذاكرة المؤرخين لم تحفظ لنا سوى بيت يتيم لأبي المخشي من المرحلة المعنية ، إلا أن تأكيدات المؤرخين بأنه كان «قديم الحوك والصنعة» ، وأنه كان «من فحول الشعراء القدماء المتقدمين» ، كما قال عنه كل من الحميدي والضبي على الترتيب[76] . ترجح الظن بأن إسهام شاعرنا كان أوسع مما نعرف عنه ، وأكثر مما يشهد به البيت الآتي :

هما مهدا لي العيش حتى كأنني خفية رف بين قادمتي نسر[77]

تعرضت حياة أبي المخشي إلى منعطف جذري ، وهو أمر لايثير الاستغراب لمعرفتنا لأسبابه ، بعد إيقاع هشام عبدالرحمن عليه العقاب ، فهو لم يعد ذلك الجسور قولاً وفعلاً ، بل غدا إنسانا ضعيفاً يثير الشفقة عليه ولا يملك من أمره حولا ولاقوة ، فهو بعد أن كان ينافح أعداءه شعرا ، غدت معاناته الشخصية

والأسرية وما آلت إليه حياته ، محاور حبست فيها أشعاره . لقد سبق لنا إيراد ما أنشده أمام الداخل معبرا عن معاناته مع زوجة ، التي يشير إليها دوما بقوله بـ«أم بناتي»[78] . ومما يبدو أن هذا غلب عليه ، واستمر فيه ، فالمؤرخون يذكرون أن آخرشعر قاله كان البيتين الآتيين :

أم بنياتي الضعيف حويلها تعول امرأ مثلي وكان يعولها

إذا ذكرت ماحال بيني وبينها بكت تستقيل الدهر ما لايقيلها[79]

إن ما انتهى إليه حال شاعرنا ، كان له مردود الشفقة والندم فيما بعد لدى المتسببين فيه ، فعندما بلغ الأمير (عبدالرحمن) بن معاوية صنيع ابنه هشام بمادحهم أبي المخشي ، ساءه وكتب إليه يعنفه ، وهي من المرات النادرة التي نرى فيها الداخل يعنف ابنه المفضل هشاما ، ويضيف ابن القوطية مكملاً أن عبدالرحمن عندما مثل الشاعر بين يديه «رق له واستعبر ، ودعا بألفي دينار فأعطاه إياه ، وضاعف له دية العينين[80] ، كما أن هشاما عندما صار الأمر إليه ، بعث بأبي المخشي ، إذ كان غمه ما كان حدث عليه بسببه ، فأعطاه الدية مضاعفة[81] .

إن التاريخ الذي يحدده المؤرخون لوفاة أبي المخشي يشوبه بعض التضارب ، ولعل مبعث ذلك يعود إلى الرواية التي أوردها ابن الخطيب نقلا عن ابن حيان بقوله : «قال ابن حيان ، قرأت بخط عبادة الشاعر ، قال عمّر أبو المخشي بعد محنته الشنعاء حتى لحق دولة الأمير عبدالرحمن (يقصد الأوسط) فوالي بين مديح أربعة أمراء ، مابينه وبين جده عبدالرحمن بن معاوية الداخل . وتوفى بعد ذلك قريباً من الثمانين والمئة . وبَعُدَ عليه لحاق دولة الأمير عبدالرحمن لهذا التاريخ»[82] .

إن البحث في معالجته لهذا التضارب يأخذ بالتوضيحات التي ذكرها محمد عبدالله عنان ، محقق «الإحاطة» بخطأ ما أورده ابن حيان عن وفاة أبي

المخشي[83] ، ذلك لأن القبول بما أورده ابن حيان يؤدي إلى القول بأن أبا المخشي ، توفى على ما يربو على المئة سنة ، وذلك على افتراض أنه دخل الأندلس سنة 123 هـ صبياً ، وتوفى في أيام الأوسط ، أي مابعد سنة 832هـ ، وهذا أمر بعيد الاحتمال ، والأرجح أن صاحبنا توفى في مطلع عصر هشام بن عبدالرحمن ـ بعد سنة 172 هـ ـ ، وحسب اتفاق معظم رواة سيرته مع هذا التاريخ ، خاصة لتوافق هذا التاريخ مع القرائن التاريخية .

ولعل الخطأ الذي وقع فيه المؤرخون في تحديد وفاة أبي المخشي يعود إلى الالتباس بينه وبين ابنته الشاعرة حسانة التيمية ، التي ماثلت أباها لا في الشهرة فحسب ، بل في الاتصال بالأمويين ومدحهم ، حيث تروي المصادر أخبار اتصالها بالأميرين الحكم بن هشام وعبدالرحمن بن الحكم[84] ، ويجدر التنبيه إلى أن حسانة ، مثل أبيها ، لقيت قدراً من العناية من اهتمام المؤرخين[85] .

التاريخ وسيرة الشاعر

أبان الوقوف على سيرة أبي المخشي التميمي عن مدى ارتباطها بمجريات تاريخ عصرها ارتباطاً وثيقاً ، كما ظهر أن معايشة شاعرنا لأحداث عصره لم تكن معايشة زمنية وظرفية فحسب ، بل معايشة فعالة كان فيها مشاركاً فعالاً ومؤثراً في مجرياتها ومتأثراً بها على حد سواء . ولايسهل من خلال هذا الارتباط المزدوج إذن ، التمييز بين ما إذا كانت السيرة تمثل الخلفية للوقائع التاريخية ، أو أن العكس من ذلك هو الصحيح ، أي أن الوقائع نفسها تمثل الخلفية للسيرة . إن صعوبة الفصل بين سيرة أبي المخشي ومسارات تاريخ عصره هو مايحرص البحث على تأكيده ، وذلك من أجل التنبيه إلى أن شاعرنا لم يكن فرداً مسلوب القدرة على صنع أحداث عصره ، ولم يكن شاهد عيان يقتصر وجوده على المشاهد فحسب ، بل يتعداها إلى الإسهام في مجرياتها ، وتشكيل مساراتها .

إن تسلسل الأحداث المرتبط بسيرة أبي الخشي يبدأ ، كما تابعنا مساراته طوال بحثنا ، من خروجه مع أبيه إلى المغرب في الجيش المرسل من قبل الخليفة هشام بن عبدالملك لمواجهة ثورات الخوارج التي كانت آخذة في النمو هناك ، ثم يتواصل مع الهزيمة الكبيرة التي تعرض لها الجيش على يد الخوارج ، فيما يسمى بـ«معركة بقدورة»[86] . وبعد انشطار الجيش قسمين ، يحاصَرُ قسمه الذي لجأ غرباً إلى سبته . قبل التحول إلى الأندلس فيما بعد ، فيما عرف بـ«طالعة بلج القشيري» ، ليخوض هناك أولاً حروباً ضد البربر وبعد ذلك ضد عرب الأندلس البلديين ، مع ما أعقبه من توزيع هؤلاء على أنحاء الأندلس على يد أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي ، وظهور الصميل بن حاتم زعيماً للشامية في مواجهة ظهور زعامة يوسف بن عبدالرحمن الفهري للبلديين ، في الأيام التي كانت الخلافة الأموية تعيش أيامها الأخيرة .

بدخول عبدالرحمن بن معاوية (الداخل) الأندلس ، وإقامة الحكم الأموي فيها ، وإعلانها دولة مستقلة له ، تغيرت مناحي الظروف الساسية فيها تغيراً كاملاً ، إذ لم تعد الأندلس عندئذ جزءاً من الخلافة العباسية الكبرى ، كما كان حالها في أيام الخلافة الأموية ، بل غدت دولة مستقلة ، يسير أمرها أميرها المستقل الجديد .

بيد أن هذه التحولات العارمة لم تقو على إنهاء أطر العلاقات السياسية ـ القبلي التي ورثها عبدالرحمن في الأندلس أو تغييرها ، والتي كان يطغى عليها التنافس والتباعد وإيثار المصالح الخاصة . لذا فإن إقامة عبدالرحمن لدولته لم تغير كثيراً ما اعتادت الأندلس على معايشته من قبل ؛ بل يمكن القول بأن حدة العداوات قد تزايدت ، وتشعبت مناهضتها عن ذي قبل ، مما أدى بأميرها المؤسس أن يصرف جل حكمه وهو يحارب رؤوسها في العشرات من الجبهات[87] .

إن تاريخ الأندلس الذي استعرضنا خطوطه في المعالجة السابقة ، هو نفسه تاريخ سيرة حياة أبي المخشي من دخوله الأندلس وإلى وفاته فيها . إن القصد من الربط بين التاريخ والسيرة هو من أجل بيان تبيان التداخل بين الجانبين ، فالتاريخ الرابط هنا ليس بأي حال تاريخاً عابراً أو ثانوياً هامشياً ، بل هو حجر زوايا لمسارات أحداثه ، وكنا إلى حين التعرض لسيرة أبي المخشي لانعرف عن هذا التاريخ سوى وقائعه الكبرى وأسماء البارزين من رجاله ، ولكن قلما كانت الفرصة تسنح للمتابعين لتجاوز مواجهاته الصامتة ، والتوغل إلى عمقه ، والتعرف إلى خلفياته .

إن متابعة سيرة أبي المخشي هيأت بلا جدال بعضاً من هذه الفرصة ، وقدمت للمتابع إمكانية تجاوز خطوط الأحداث وإدراك الجزئيات المشكلة لها ، كما أنها فتحت مجالاً أكثر اتساعاً للتعرف إلى المشاركين الآخرين في صنعها ، كبرت أدوارهم فيها أم صغرت ، وترتب على ذلك أن المعلومات التي فرض المؤرخون حدودها برواياتهم المختصرة والخالية من التعمق ، غدت أكثر ثراءً في مضامينها ، وتوسعت إمكانية النظر إليها من جوانب متعددة ، ومن زوايا لم تكن متاحة من قبل .

في حقيقة الأمر ، وصلت قوة التداخل بين سيرة أبي المخشي ووقائع عصرها إلى ذروتها متانة عند إقامة عبدالرحمن الدولة الأموية في الأندلس . ففي هذه المرحلة التاريخية تحديداً ، كان شاعرنا قد انتقل إلى العاصمة قرطبة ، تاركاً البيرة وقرية شوش ، وترافق ذلك ـ كما تقدم ـ لا ببروزه شاعراً متحدثاً عن إنجازات دولة الداخل وتطلعاتها ، بل بدخوله دائرة النخبة القرطبية نفسها ، الأمر الذي أدى به لاحقاً إلى أن يكون لسان التعبير عن تطلعات هذه الفئة في أحوالها الراهنة ، وبتوجهاتها في المستقبل ، وهنا لم تعد معاني شعر شاعرنا محصورة في وصف التقلبات العامة للأحداث ، بل غدت أكثر التصاقا بوقائعها

الخاصة ، فدائرة الخصوصية كانت تضيق به ، كلما نمت شهرته ، وانتشرت أشعاره[88] .

منذ منتصف عهد الداخل تقريباً ، أخذت قضية ولاية العهد ، والسؤال عمن سيخلف الداخل من ابنيه : سليمان ، الابن البكر ، أو أخوه هشام الذي يليه في ترتيب الأبناء ، تبرز بإلحاح مطرد ، وأخذت تثير تدريجياً اهتماماً صامتاً لم يقدر فيه أصحاب الآمال من الأبناء على البوح علانية ، بما كان يملأ صدر كل واحد منهما على استحقاقه وأهليته لهذا الترشيح[89] . وقد أدى الأمر رويداً إلى تشكل ما يمكن تشبيهه بالمثلث ، مثل فيه الداخل ضلعه الأول ، ومثل الضلعين الآخرين ، الأخوان سليمان وهشام . وهنا لم يكن على شاعرنا ، بسبب القرب من هؤلاء إلا أن يقع في محيط هذا المثلث ، سواءً هدف أو لم يهدف ، فهو ، في كل الأحوال ، لم يكن يملك سبل البعد عنها باختياره ، فأضلاع المثلث ، كلما ازدادت حساسيات المواقف وارتفعت درجات الترقب والتطلعات ، كانت تطبق عليه وتغلق دونه فرص النجاة . إن أبا المخشي لم يكن شاعراً عادياً في المقام الأول ، وإن ما كان يقوله لم يكن ليمر دونما أن يترك أثاراً ويفضي إلى المتابعة . وحينما تنحصر المعاني الشعرية ، في هذه المرحلة المفرطة في الحساسيات والتنافس الصامت ، بأهدافها السياسية المرتبطة بالمؤججين أنفسهم لحالة القلق تلك ، فإن مصير هذا الشعر يكون عرضة للتأويل والتفسيرات الخاصة ، حيث يعزز ذلك مكانة الشاعر وشيوع مايقوله . ويؤدي ذلك ، بوصفه نتاجاً لهذه الإفرازات ، إلى أن يكون الشاعر هدفاً بذاته ، لاسيما عندما يشاع بأنه يمس ذوات الآخرين ، لأنه يغدو في هذه الحالة المتنفس الذي يتنفس من خلاله أصحاب النفوس المكبوتة والمتوارية ، والمالكة في الآن نفسه قوة التشفي ، وأدوات الإسكات .

بالعودة إلى المثلث الذي أشرنا إليه سلفاً ، فإن الضلع الذي يمثل الداخل

أحد أضلاعه ، هو في الواقع ذلك الضلع الذي من الممكن أن يوجه إليه اللوم في الغموض الذي أحيط بمسألة ولاية العهد . وعلى الرغم من أن بحثنا هذا ليس بوسعه رصد تفصيل اللوم الملقى على الداخل في هذا الشأن ، ويكتفي حياله بالإحالة إلى دراسة تشرح جوانب هذه المشكلة بتوسع[90] ، فمع ذلك يرى أنه لزاما عليه أن يطرح القضية بصورتها العامة والموجزة على الوجه الآتي :

إن أكثر الروايات تداولاً وشيوعاً بين المؤرخين فيما يتعلق بموقف عبدالرحمن الداخل من قضية ولاية العهد ، هي رواية ابن عذاري المراكشي ، والتي يقول فيها :

«إن عبدالرحمن بن معاوية ـ رحمه الله ـ لما حضرته الوفاة ، وابنه هشام بماردة ، وابنه الآخر سليمان بطليطلة ، وكل ابنه عبدالله المعروف بالبلنسي ، وقال له : «من سبق إليك من أخويك ، فارم إليه بالخاتم والأمر! فإن سبق إليك هشام ، فله فضل دينه وعفافه واجتماع الكلمة عليه ، وإن سبق إليك سليمان ، فله فضل سنه ونجدته وحب الشاميين له . فقدم هشام من ماردة قبل سليمان . . . . . فخرج إليه أخوه عبدالله ، وسلم عليه بالخلافة ، ودفع إليه بالخاتم ، كما وصاه أبوه ، وأدخله القصر»[91] .

إن هذه الرواية ، على الرغم من أنها الوحيدة في المصادر التي تنص ـ حسب علمنا ـ على قضية ولاية العهد صراحة ، إلا أنها في الوقت نفسه رواية معبرة ، تختزل القول بكل ما له علاقة بهذه المسألة ، وتلم أطرافها ، سواء ما يتعلق بموقف عبدالرحمن نفسه من الأمر ، أو بما تحوي من معلومات عن كيفية انتقال الحكم منه إلى ابنه هشام .

ويتراءى من دراسة نصها النقاط الآتية : أولاً ، أن عبدالرحمن حتى وهو على فراش موته لم يكن قد وصل إلى قرار قاطع في تسمية من سيخلفه في

الحكم ، وأنه ، وتحت إلحاح الموقف ، لجأ إلى إجراء عاجل ، لايعرف ، هو نفسه لربما كيف ينتهي الأمر فيه ، ولمن سيؤول إليه من بعده . ثانياً ، اعترف عبدالرحمن أن الخلافة مقصوره على ابنيه ، سليمان وهشام . ثالثاً ، أبدى معرفته بميول الاثنين وتوجهاتهما وفضائلهما ، كما بيّن مكامن القوة التي يستند إليها الاثنان ، سليمان من «حب الشاميين له» ، وهشام من «اجتماع الكلمة عليه» .

وللمزيد أيضاً في الموضوع نفسه ، يلمح النص ، فضلاً عن النقاط السالفة ، إلى أن قضية ولاية العهد لم تكن غائبة عن بال عبدالرحمن ، وأن القرار الذي تفوه به لم يكن وليد لحظاته الأخيرة ، بل لعله سبق ذلك ولربما إلى الأيام التي بدأ فيها الداخل يشعر أن عليه واجب اتخاذ قراره في مسألة ولاية العهد ، هو أمر لاشك أنه كان يتزايد عليه مع تقادم العهد بدولته ، وبسنه أيضاً . ونحن بإمكاننا أن نتعرف إلحاح الأمر عليه من جملة من المبادرات التي قام بها ، كما تلمح إلى ذلك الروايات ، منها سؤاله عن ابنيه من مؤدبهما ، والتأكد فيما بعد بما أخبر به بنفسه[92] . وبالدافع نفسه أيضاً ، نراه يصطحب الاثنين معه إلى مجالسه ، كما يقال بالتناوب ، ويحرص على ما يبديانه من قول وفعل ، ومعرفة ما يحرزانه من ردود فعل من قبل الآخرين في تلك المحافل الرسمية[93] . ثم أعقب الداخل ذلك بتعيين ابنيه في مناصب مهمة ، حيث تولى سليمان جيان ، ثم طليطلة ، وتولى هشام ماردة . نائبين لأبيهما .

من خلال تلك المبادرات ، يمكن لنا القول بأن الداخل كان قد أعطى لمسألة ولاية العهد عنايتها المستحقة ، وأنه لم يبت في الأمر إلا عند مماته ، فالمبادرات التي نعرف حرصه على القيام بها ، ربما لم تكن بالنسبة له إلا وسائل أراد من خلالها التعرف إلى مما يميز ابنيه ، اللذين كان قد قرر أن يعهد لأحدهما بولاية الأمر من بعده ، في المقدرة والكفاءة والاستعدادات ، ومما يميزهما أيضاً في الميول والتوجهات ، لكي يبني قراراً على تسمية أحدهما بناء عليه . ولكن

وبالرغم من كل ذلك ، فإن الداخل لم يمسك عن إعلانه وصوله إلى قرار يحسم به الأمر فحسب ، بل ألقى على قراره سياجاً من الغموض والسرية التي قد لايتسنى لنا معرفة أسبابها ودوافعها ، ومما يزيد العجب والحيرة ، التي يصعب إيجاد تفسير لها أيضاً أنه أبقى الأمر حياً ، مثيراً فيه ـ بين الفينة والفينة ـ مايحرك ركوده ، ويزيد من اشتعاله ، وذلك حينما كان يفاجئ الجمع بتلميحه إلى سليمان تارة ، وإلى هشام تارة أخرى ، ويومئ إلى تأرجحه بين الاثنين في فترات أخرى .

أما بالنسبة للضلعين الآخرين في المثلث المفترض ، وهما ضلعا ابني الداخل سليمان وهشام ، أصحاب الشأن في قضية ولاية العهد . فإن مايمكن تصوره لموقفهما من الأمر ، هو القول بأن تطلعاتهما في طلب الولاية والأمل فيها نمت مسايرة لمسار دولة أبيهما حسب المراحل التي كانت تمر بها .

ولد سليمان في المشرق ، ودخل الأندلس في السابعة تقريباً ، على حين ولد هشام في الأندلس ، بعد سنة تقريباً من دخول أبيه إليها . وبالقياس الزمني ، وبالمقارنة العمرية بين دولة الداخل التي أقامها في الأندلس ، وبين عمر الاثنين ، بالإمكان القول بأن كلا من سليمان وهشام عاصرا دولة والدهما ، من نشأتها ، مروراً بنموها ، وانتهاء بإرساء دعائمها ، في سن متقاربة تقريباً ، حيث كبر الاثنان معا مع نمو الدولة ؛ شهدا بدايتها في صباهما ، وعاصرا أطوارها المتصاعدة ، وشاركا في حروبها ، وأسهما في إدارتها ، ومع تقادم العهد بها ، وبأميرها المؤسس ، أخذا يشعران أن وجودهما يتجاوز آن الدولة إلى مستقبلها . هنا بدأت تطلعاتهما وطموحاتهما ، كل بما رأى من تحقق الشروط فيه ، وكل حسب فهمه لاهتمامات أبيه به . وفي النهاية بنى الاثنان آمالهما على أن نصيبهما لا محالة آت إليهما بعد أبيهما .

إن الحالة الافتراضية التي رسمناها عن الاثنين ، سليمان وهشام ، كانت

لابد أن تنتهي بهما إلى الدخول في حالة من الترقب المتنامي . حاول فيها الاثنان كل على حدة ، تأكيد أهليته واستحقاقه وجدارته للمسؤوليات العليا . ولعل مما ساعد على نمو الحالة تلك عندهما ، هو شعورهما بأنهما أصبحا تحت أنظار أبيهما ، ومحل اهتمامه ، وهدفاً لاختبارات القدرات التي كان يجريها عليهما[94] ، ولاريب أنهما كانا يدركان مغزى عناية أبيهما بهما ، ولا شك أنهما كانا يدركان أسبابها ، لأن ذلك كان يتلاقى مع ما في داخلهما مما لا يستطيعان البوح به علنا من آمال وتطلعات ، وما يحسب كل واحد لنفسه من حسابات خاصة .

إن إبقاء عبدالرحمن أسرار امتحانه لابنيه لنفسه ، وعدم الإفصاح عن نتائجه ، وكتمانه قراراته حياله ، كان لابد أن تنعكس آثاره على الاثنين . وإذ لم يكن بمقدور الأخوين استعجال قرار ، أو التجرؤ علناً بالمطالبة بما كانت أنفسهما تتطلعان إليه ، فإن ما يمكن تصوره هنا أن حالات الترقب كانت لابد وأن تفضي إلى نوع من التنافس الداخلي ، التي لم يكتف الاثنان من خلالها بتأكيد ذواتهما فحسب ، بل تجاوزا ذلك إلى إعلان كل منهما عن جدارته واستحقاقه لولاية العهد ، كل حسب تفسيراته وتقديراته الخاصة .

وهنا كان لابد وأن يأتي دور الشعر ، فالشعر هو الأداة القادرة لا على التعبير عن مكونات النفس فحسب ، بل إنه الوسيلة الرامية للهدف والغايات ، ولاسيما حينما يكون الشعر ، كما هو حاله عموما ، وبالأخص حينذاك ، الأداة الأقوى أثرا عند سامعيه ، فهو بقدرته على التلميح غير المباشر ، والتلميح المباشر ، يغدو أداة لايمكن للأخوين المتنافسان الاستغناء عنها ، بل لايجدان من سبيل سوى اللجوء إليه ، والانتفاع من فعاليته ، والركون إلى أثره .

وهذا ماكان بين الاثنين ، سليمان وهشام ، على الرغم من تباينهما في الملكة الشعرية ، فسليمان لم يكن يملكها ولايحفظ منها ماقيل ، بالمقارنة إلى

هشام الذي كان من أهلها ورواتها ، ولكن حرمان سليمان لملكة الشعر لم يمنعه من احتواء شاعر مثل صاحبنا ، أبي المخشي ، فلقد مر بنا الاستشهاد بأمثلة مما كان ينافح به عنه في أبيات ، لا نرى بأساً من العودة إلى ، مثال منها :

فغدا سليمن السَّماح عليهم ... كالليث لايلوى على مُتَعذِّر
عاداهم متقنعا في مأزق ... في الموت من نجس العوارض الممطر
أما سليمن السماح فإنه جَلى ... الدُّجا وأقام سيل الأصْعَر
وهو الذي ورث الندى أهل النَّدى ... ومحا دُجْنَة يوم وادي الأحمر[95]

هنا يلمح أبو المخشي إلى شجاعة سليمان في الموقعة ، ويلمح إلى قدرته في الوغى ، وهو أمر معروف عن سليمان ، ولكن يزيد على ذلك إعلاناً بأحقيته بوراثة العهد من أبيه ، وهذا ما كان سليمان يريده ضمناً .

أما عن هشام ، نقيض سليمان في ملكة الشعر ، فلم يكن في حاجة للاستعانة بشعراء ينطقون بلسانه ، بل كان قادراً على فعل ذلك بنفسه ، موظفا ملكاته لأهدافها وغاياتها . وبالرغم أنه لم يرد إلينا سوى بيت يتيم يمكن لنا الاستشهاد به في هذا الطرح ، إلا أن البيت فيه مايكفي من دلالة للاستشهاد . يذكر المؤرخون ، في قصة طويلة لم نشأ إرهاق البحث بإيراد نصها ، أن هشاماً عرضت عليه ضيعة مثمرة ، لكنه امتنع عن شرائها لنفسه ومنحها لمن عرضها عليه ، لرجل يقال له الهواري قائلاً :

البذل ـ لا الجمع ـ فطرة الكرم ... فلا ترد بي ما لم ترد شيمي
ما أنا من ضيعةٍ وإن نَعُمَتْ؟ ... حسبيَ اصطناعُ الأحرار بالنِّعم
مُلكُ الورى والعبادِ قاطبة ... ـ لا ملك بعض الضياع ـ من هِممي[96]

إن بيت القصيد هنا هو البيت الأخير ، ففي هذا البيت يعلن هشام عن طموحه علنا بقوله إن هدفه ليس امتلاك الضياع ، بل الأهم منه اصطناع الرجال ، والأهم من ذلك أيضاً «ملك الورى والعباد قاطبة» ، ولانرى نحن شهادة لتأكيد الذات ، وإعلان الطموح أقوى من ذلك .

إن انحصار المنافسة بين الأخوين ، سليمان وهشام ، في طموحهما لنيل خلافة والدهما ، في قناة الشعر هكذا ، أدى إلى دخول أبي المخشي في دائرة المنافسة الضيقة ، إذ إن المنافسة بين الأخوين لم يعد طرفاها سليمان وهشام فحسب ، بل تحولت المنافسة حينها إلى نوع من مجابهة بين هشام وبين شاعر سليمان ، أبي المخشي . وكان ذلك سبباً في متاعبه وفيما وقع عليه من عقاب ، كان الحديث عنهما الموضوع الذي ركز عليه بحثنا في الصفحات السابقة .

وفي الختام ، نخلص إلى أن الاهتمام بسيرة أبي المخشي التميمي ، لا يقتصر ذكره على ارتباطه بالوقائع السياسية المعاصرة لحياته ، كما مر بنا ، بل يتعدى ذلك بعداً إلى الاهتمام به ، سواء من قبل القدامى أو المحدثين ، بوصفه شاعراً ذائع الصيت جاوزت شهرته حدود بلده الأندلس ، ووصلت إلى حواضر المشرق ، ولاسيما بغداد . لقد سبق لنا إيراد ماكان بين قصة قطع لسانه في قرطبة ومعرفة إمام دار الهجرة ، الإمام مالك بن أنس بها في المدينة ، لكن الزبيدي يورد لنا قصة طويلة ، نكتفي بالإحالة إلى مصدرها ، يقول فيها ، كدلالة على وصول شهرة أبي المخشي الشاعر إلى المشرق ، إن عباس بن ناصح وهو من أهل الأدب والشعر في الأندلس ، كان قد ارتحل إلى المشرق للسماع من الحسن بن هانئ ، حيث كان نجماً في بغداد بعد ابن هرمة . وعند وصوله بغداد ، واستقبال ابن هانئ له ، فوجئ به يطلب منه أن يروي له شيئاً من شعر أبي المخشي ، مما قاله في الأندلس ، فأنشد له ناصح ، من شعره :

كنت أبا للدرى إلا الدُرا ما فقأتْ عينيّ إلاّ الدُّنا

وقد علق ابن هانئ عند سماعه ، هذا الذي طلبته الشعراء فأضلته[97] ويزيدنا كل من الحميدي والضبى ، أن ابن هرمة ، الذي ورد اسمه في قصة ابن ناصح ، شاعراً سبقت شهرته شهرة الحسن بن هانئ في المشرق ، كان قد رحل من المشرق قاصداً الأندلس ، وبينما هو في تاهرت انتحل شعرا لأبي المخشي الذي مطلعه ، «وهم صافني في جوف يم» ، وعندما أخبر بأن قائل هذه الأبيات هو أبو المخشي ، صد ابن هرمة عن الأندلس ورجع إلى المشرق[98] .

ويتواصل الاهتمام بأبي المخشي عند المحدثين ، فهو يحتل مكانة دوما لدى المهتمين بتاريخ الأدب عموماً ، والأندلسي منه على وجه الخصوص ، فاسمه لا يخلو من إشارة إليه ، والتنبيه على أثره وموقعه بين شعراء الأندلس . انخل جنثالث بالنثيا يجعله من طلائع شعراء عصر الإمارة[99] . وكتب عنه اميلو غرسيه غومس قائلاً : إنه ـ أبو المخشي ـ من رعيل شعراء الأندلس المبكرين الذين انتقل الشعر على أيديهم ، «رويدا رويدا ، من المنهج التقليدي الاتباعي القديم إلى نهج المحدثين من شعراء البلاط»[100] . وجعله إحسان عباس من واضعي أسس الموروث الشعري في الأندلس[101] . أما أحمد هيكل فيقول «إن أبا المخشي ، كان يمثل الشعر الأندلسي في فترة تأسيس الإمارة أصدق تمثيل ، فهو يمثله في سيره هذا الاتجاه المحافظ ذي الملامح البدوية ، وهو يمثله في ظهور تلك السمات الأندلسية الخاصة من تجديد في بعض الموضوعات ومن تغليب لعنصر العاطفة ، ومن تجويد بطريقة الأداء»[102] .

إن ما أثبت هنا هو للاستشهاد وليس للحصر ، لأن الحديث لولا ذلك لطال . وهكذا كان أبو المخشي علما في شهرته ، وعلما في مكانته ، كما كان علما في سيرته . رحمه الله بإذنه تعالى ورحم من عرفه .

الهوامش والمراجع

(1) Fernand Braudel, ***Annales E.S.C,*** NO: 6, (1951), p. 491.

(2) أنظر إلى تطبيقاته لهذا النهج في كتابه- F. Braudel, ***The Mediterranean and the mediterra-nean world in the age of philip 2,*** Trans, Sian Reynolds, (New York, Harper & Row, 1972)

انظر كذلك للتعريف به وبمنهجه عبدالغفور أروزي ، «المغرب الإسلامي في عالم فرنان بروديل المتوسطي ، دراسة تقييمية لمدرسة (الحوليات Annales) التاريخية وتطبيقاتها المنهجية» ، **دراسات تاريخية** ، ج2 ، **مركز البحوث** ، كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، الرياض 1415هـ/ 1995م ، ص ص 104 /223 .

(3) ابن الخطيب ، لسان الدين : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، تحقيق : محمد عبدالله عنان ، ج4 ، القاهرة : مكتبة الخانجي 1397هـ/ 1988م ، ص ص9- 10 .

(4) الأزدي ، علي بن ظافر : **بدائع البدائه** ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة : دار المعارف 1955 .

(5) ابن القوطية ، أبي بكر بن عمر : **تاريخ فتح الأندلس** ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، القاهرة ـ بيروت : دار الكتب الاسلامية ـ دار الكتاب المصري ـ دار الكتاب اللبناني 1402هـ/ 1982م ، ص ص 56 - 57 .

المغربي بن سعيد : **المغرب في حلى المغرب** ، ج2 ، تحقيق : شوقي ضيف ، القاهرة : دار المعارف 1955 ، ص ص 123 - 124 .

المقري ، أحمد بن محمد التلمساني : **نفح الطيب** ، تحقيق : إحسان عباس ، ج4 ، بيروت : دار صادر 1388هـ/ 1968م ، ص ص166 - 167 .

(6) ابن الآبار ، محمد بن عبدالله القضاعي : **التكلمة لكتاب الصلة** ، تحقيق : عبدالسلام هراس ، ج4 ، الدار البيضاء : دار المعرفة د .ت ، ص240 . الزبيدي ، محمد بن حسن : **طبقات النحويين واللغويين** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة : دار المعارف 1973 ، ص ص - 263 262 . الحميدي ، محمد بن أبي النصر فتوح بن عبدالله الأزدي : **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس** ، القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966 ، ص402 . الضبي ، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ، **بغية التلمس** ، القاهرة : دار الكتاب العربي 1967 ، ص528 .

(7) Elias Ter'es, "El Poeta Abu - L - Majs, y Hassana al Tamimiyya", ***Al-Andalus***, vol xxvl, Fasc 1, Madrid-Grandada, P. 229 - 244

وقد كتب عبدالسلام الهراس بحثا عن الشاعر : انظر : عبدالسلام الهراس ، «الشاعر عاصم بن زيد التميمي«أبو المخشي» ، **الثقافة المغربية** ، ع9 ، المملكة المغربية : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة ، 1393 - 1973 ، ص ص 124 - 133 .

كما أن الباحث نفسه ترجم الجزء الخاص من بحث الياس تيرس المتعلق بابنة أبي المخشي وهي حسانة التيمية ونشره بعنوان «حسانة التيمية . . . هل هي ابنة أبي المخشي؟ **دعوة الحق** ، المغرب : وزارة الأوقاف ، ع2 سنة 12 ,1388 - 1969 ، ص ص 61 - 64 .

(8) انظر على سبيل المثال ، إحسان عباس ، **تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة** ، بيروت : دار الثقافة 1981 ، ص ص 44 - 47 ؛ أحمد هيكل ، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة** ، القاهرة : دار المعارف 1982 ، ص ص99 - 102 ، غارسيا غومس . **الشعر الأندلسي** ، ترجمة : حسين مؤنس ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية 1956 ، ص ص 30 - 33 .

(9) هناك اختلاف في إيراد كنيته ، فهي في الأغلب «أبو المخشي» . بفتح الخاء وتشديد الشين المكسورة ، ويوردها البعض بالياء «أبو المخشي» ، وقد أورده ابن الخطيب «المخشبي» والأرجح هو ما مالت إليه الأكثرية ، خاصة وأن ابنته حسانة تشير إليه في شعر لها للأمير الحكم :

إني إليك أبا العاصي موجعة أبا المخشي سقته الواكف الديم

انظر : المقري ، النفح ، ج4 ، ص167 .

(10) ابن حزم ، محمد بن أحمد بن سعيد ، **جمهرة أنساب العرب** ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون (القاهرة : دار المعارف 1382 - 1962) ، ص214 .

(11) علي بن ظافر الأزدي ، بدائع البدائه ، ص38 .

(12) المراكشي ، أبو عبدالله محمد بن عبدالملك الأنصاري الأوسي المراكشي : **الذيل والتكملة** ، السفر الخامس/ القسم الأول ، تحقيق : شوقي ضيف ، القاهرة : دار المعارف 1955 ، ص123 .

(13) انظر : ابن قتيبة ، **الشعر والشعراء** ، القاهرة . مكتبة المعارف 1962 ، ص ص111 - 112 ، وأنظر أيضاً . The Encyclopaedia of Islam vol: I,p. 196

(14) عن وقائع هذه الحادثة وظروفها وأسبابها انظر : ابن عذارى المراكشي ، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، تحقيق : ج .س . كولان وليفي بُرفنسال ، ج1 ، بيروت : دار الثقافة - 1980 1400 ، ص ص 54 - 56 . وكذلك حسين مؤنس ، **فجر الأندلس** ، القاهرة : الشركة العربية للطباعة والنشر 1959 ، ص ص 356 - 361 .

(15) ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج4 ، ص10 .

(16) ابن سعيد المغربي : **المغرب في حلي المغرب** ، ج2 ، ص123 ؛ لسان الدين بن الخطيب ، الإحاطة ، ج4 ، ص231 . ويعرف ابن سعيد قرية شوش بأنها قرية مشهورة على نهر كبير في استجه ويصب في نهر قرطبة (الوادي الكبير) ، ص123 .

(17) عبدالسلام هراس ، «الشاعر عاصم بن زيد التميمي «أبو المخشي»» ص125 .

(18) لسان الدين بن الخطيب ، الإحاطة ، ج4 ، ص231 .

(19) للمزيد من التفصيلات عن هذه الوقائع ، انظر ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2 ، ص59 . . . وما يليها .

(20) لا تذكر المصادر شيئاً عن أخبار والد عاصم ، كما لا تحدد تاريخ وفاته .

(21) للاستزادة عن تاريخ هذه المرحلة انظر : ابن القوطية ، ص ص39 - 46 .

(22) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج4 ، ص231 .

(23) عبدالسلام الهراس ، الشاعر عاصم بن زيد التميمي ، ص125 .

(24) الحميدي ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، الضبي ، بغية الملتمس ، ص528 .

(25) كما يقول الأزدي نقلا عن ابن حيان ، بدائع البدائة ، ص 38 ، انظر كذلك : ابن القوطية ، **تاريخ افتتاح الأندلس** ، ص56 .

(26) غرسيا غومس ، الشعر الأندلسي ، ص30 .

(27) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص401 . انظر كذلك : الضبي ، بغية الملتمس ، ص528 .

(28) إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي ، ص45 ، انظر كذلك : غارسيا غومس ، الشعر الأندلسي ، ص31 .

(29) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج4 ، ص231 .

(30) ابن حزم ، نقط العروس ، **رسائل ابن حزم الأندلسي** ، تحقيق : إحسان عباس ج1 ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر1987 ، ص45 ، وفي بيت له بمناسبة معركة وادي الأحمر ، يسمى أبو المخشي عبدالرحمن بالخليفة ، الإحاطة ، ص234 .

(31) ابن الخطيب ، ج4 ، ص232 .

(32) يذكر أن سليمان كان أكثر ميلا للشاميين ، وكان يعرف «بالشامي» ، ولعل ذلك هو الذي جمعه بأبي المخشي ، الذي كان شاميا هو الآخر . ونمو العلاقة بين الاثنين أدت إلى أن يلتمس الفرص للإشادة بسليمان ، ومثل ذلك الأبيات الطويلة التي نظمها في مدح بطولة سليمان في المعركة التي قادها عبدالرحمن وشارك فيها سليمان ضد محمد بن يوسف بن عبدالرحمن الفهري آخر ولاة الأندلس ، الذي قتله عبدالرحمن ، وواصل ابنه هذا ، المعروف بأبي الأسود ، التمرد إلى أن قضي عليه (سنة 169هـ) في نواحي طليطلة ، التي ولي عليها سليمان لاحقا من قبل والده . الإحاطة ، ج4 ، ص234 .

(33) البيت مقتبس من ابن ظافر الأزدي ، لأن ابن الخطيب يرويه مختلفاً

وليسوا مثل من إن سيل عرفا يقلب مقلة فيها أعونة

والرواية الأولى لعلها هي الأصح ؛ بدائع البدائة ، ص38 .

(34) في إحدى عينيه نكتة بيضاء كجد أبيه هشام بن عبدالملك ، انظر بدائع البدائه ، ص38 .

(35) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج4 ، ص232 .

(36) ابن ظافر ، نقلا عن ابن حيان ، بدائع البدائه ، ص38 ، المراكشي ، يرد بهذا الصدد رأياً مغايراً ، حيث يشير إلى أن هشام «أعمل الحيلة فيه ـ يقصد أبا المخشي ـ حتى سبق إليه» ، الذيل والتكملة ، القسم الأول ، ص103 .

(37) عبدالسلام الهراس ، الشاعر عاصم بن زيد ، ص127 .

(38) المراكشي ، الذيل والتكملة ، ج1 ، ص102 .

(39) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص56 .

(40) ابن سعيد ، المغرب ، ص123 . ابن ظافر الأزدي ، البدائه ، ص38 .

(41) ابن القوطية ، افتتاح الأندلس ، ص56 .

(42) الأبيات الأربعة الأولى يرويها ابن القوطية (ص57) ، ويكمل ابن الخطيب الأبيات التالية (الإحاطة ، ج4 ، ص233) .

(43) ابن الآبار ، محمد بن عبدالله ، **التكملة لكتاب الصلة** ، تحقيق : عزت العطار الحسيني ، ج1 ، (القاهرة ، بغداد : مكتبة الخانجي ومكتبة المثنى 1375 /1956) ، ص355 .

(44) ابن ظافر ، البدائه ، ص39 ، لسان الدين في الإحاطة يضيف إلى ذلك قوله «ويذكر أن قصة أبي المخشي في نبات لسانه ، لما بلغت مالك بن أنس ، أشار إليها في فتواه في التأني في دية اللسان في نبتها ، وقال يتأنى بالحكم عاما ، فإن نبت أو شيء منه ، عمل في ديته بحسب ذلك ، فقد بلغني أن رجلاً بالأندلس نبت لسانه أو أكبر بعد ما قطع ، فأمكنه الكلام» ص ص232 - 233 . وينبغي أن نورد هنا بأن هذه الفتوى لم يشر إليها في كتاب مالك «الموطأ» .

(45) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج4 ، ص232 .

(46) المصدر نفسه ، ص233 .

(47) المراكشي . الذيل والتكملة ، 1/5 ، ص103 .

(48) ابن الخطب ، المصدر السابق ، ج4 ، ص232 .

(49) ابن ظاهر الازدي ، بدائع البدائه ، ص38 .

(50) المراكشي ، المصدر السابق ، ص102 .

(51) لمزيد من المسألة تحديدا ، انظر : عبدالغفور روزي ، هشام بن عبدالرحمن الداخل . . . وأسباب خلافته أباه في الإمارة ، دراسة تحليلية لروايات ولاية العهد في العصر الأموي المبكر في الأندلس ، قيد النشر : **مجلة جامعة الملك سعود** ، فرع الآداب ، مج15 ، 2003/1423,2/4م .

(52) ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ج4 ، ص231 .

(53) ابن ظافر الأزدي ، المصدر السابق ، ص38 .

(54) ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص231 .

(55) ابن ظافر الأزدي ، المصدر السابق ، ص38 .

(56) أمه أم ولد اسمها حلل ، وهو أول ولد يولد لعبدالرحمن في الأندلس . المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص334 .

(57) تشير المصادر إلى أن عبدالرحمن أوصى ابنه عبدالله ـ وهو على فراش موته بأن يرمي بالخاتم والأمر إلى أي من سليمان أو هشام ، يسبق أحدهما الآخر في الوصل إلى قرطبة من مركز ولايتهما ـ انظر صيغة الوصية الكاملة ، ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ج .س كولان . ليفي بروفنسال ، ج2 ، بيروت : دار الثقافة 1400هـ/ 1980م ، ص217 .

(58) عبدالسلام هراس ، الشاعر عاصم بن زيد ، ص128 .

(59) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج4 ، ص234 ، وهي قصيدة نظمها أبو المخشي تمجيداً لانتصار عبدالرحمن الداخل على محمد بن يوسف الفهري ، المعروف «بأبي الأسود» . وهو ابن يوسف الفهري آخر ولاة الأندلس الذي هزمه الداخل ، انظر للتعريف بالموقعة ، هامش المحقق (محمد بن عبدالله) رقم (1) ، الصفحة نفسها .

(60) عبدالسلام الهراس ، الشاعر عاصم بن زيد ، ص129 .

(61) في بيت يقول الشاعر :

وذريّتي قـــد تجـــاورتُ بهـــا مُـهـمَّـهـا فَـقـراً إلى أهل النَّدا

انظر كامل الأبيات ؛ ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج4 ، ص ص 233 - 234 .

(62) لقد سبق اثبات رواية ابن ظافر الأزدي ـ نقلا عن ابن حيان (انظر : هامش 34) ـ والإثبات هنا مما أورده ابن الخطيب ، الإحـاطة ، ص233 . والملاحظ هنا أن هناك اختـلافاً في الصيـغـة ، والاتفاق في المعنى .

(63) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج4 ، ص ص131 - 132 .

(64) ابن ظافر الأزدي ، بدائع البدائه ، ص38 .

(65) ابن سعيد المغربي ، المغرب في حلى المغرب ، ج2 ، ص124 .

(66) عبدالسلام الهراس ، الشاعر عاصم بن زيد ، ص126 .

(67) شاعر أندلسي ، معاصر لأبي الخشي .

(68) ابن ظافر الأزدي ، المصدر السابق ، ص38 . انظر كذلك : ابن سعيد ، المغرب ، ج2 ، ص123 . ويرويه ابن سعيد باختلاف ، خاصة في عجزه على الوجه الآتي :

ســـألت وعند أمك من خـــتـــاني بيـــان كـــان يشـــفي من ســـؤالي

(69) عبدالسلام الهراس ، الشاعر عاصم بن زيد ، ص127 ، انظر : أيضاً مايقوله المؤلف في هامش (3) ، ص126 .

(70) المرجع نفسه ، نفس الصفحة .

(71) مؤلف مجهول ، **أخبار مجموعة ، في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم** ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، (القاهرة/ بيروت : دار الكتاب المصري 1401 - 1981) ، ص40 .

(72) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ص42 - 43 .

(73) لمزيد من التفصيلات لما لخص هنا ، انظر : حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ص193 - 232 .

(74) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص44 .

(75) قال عنه ابن الخطيب بأنه «كان من أعلام الجند ومقدميهم» ، الإحاطة ، ج4 ، ص231 .

(76) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص401 ، الضبي ، بغية المتلمس . ص528 .

(77) الحميدي ، المصدر نفسه ، ص401 .

(78) انظر هامش13 ، ص42 .

(79) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص57 .

(80) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج4 ، ص233 ، ابن القوطية ، ص57 .

(81) ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص57 .

(82) بن الخطيب ، نفس المصدر ، ج4 ، ص235 .

(83) المصدر نفسه ، هامش المحقق (1) ، ص235 .

(84) ابن الآبار ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبوبكر القضاعي الأندلسي ، ترجمة الشاعر : 666 ، ص240 . المقري ، نفح الطيب . ج4 ، بيروت : دار صادر 1388هـ ـ 1968م ، ص ص167 - 168 .

(85) فضلاً عن اهتمام القدامى بها ، خاصة في مصنفات مشاهير الأندلس وعلمائها ، تواصل الاهتمام بها حديثاً : انظر دراسة E' Ter'es, (1961) "El Poeta Abu - L - Majsi y Hassana La Tamimiyya"

(86) هناك اختلاف بين المؤرخين في تعيين مكان المعركة ، التي تحدد بثلاثة أسماء ١ ـ معركة نهر الملوية ، ٢ ـ نهر سبو ، ٣ ـ بلدة نقدورة أو بقدورة . انظر : حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، هامش (1) ، ص174 .

(87) يخلص باحث محدث في دراسة عن عبدالرحمن الداخل إلى القول بأنه قضى جل أيام حكمه الذي امتد من 138 حتى 172 وهو يحارب المناوئين الذي وقفوا أمامه في سبيل إقامته لدولته في الأندلس ، انظر : إبراهيم ياسر خضير الدوري ، **عبدالرحمن الداخل في الأندلس ، وسياسته الخارجية الداخلية** ، بغداد : دار الرشيد للنشر 1982 .

(88) إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي ، ص45 .

(89) هناك غير دراسة درست الموضوع انظر : إبراهيم ياسر خضير الدوري ، عبدالرحمن الداخل وسياسته الخارجية والداخلية ، ص ص 316 - 321 . عبدالغفور روزي ، هشام بن عبدالرحمن الداخل وأسباب ترشيحه لولاية العهد (مرجع سبق ذكره) .

(90) انظر عبدالغفور روزي ، «هشام بن عبدالرحمن ، وأسباب ترشيحه لولاية العهد» .

(91) ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار أهل الأندلس والمغرب ، ص ص62 - 61 .

(92) إلى تفصيلات ذلك انظر : المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص334 .

(93) ابن الآبار ، **الحلة السيراء** ، تحقيق : حسين مؤنس ، ج1 ، ص42 .

(94) لتفصيلات الامتحانات التي كان الداخل يجربها على ابنيه سليمان وهشام ، انظر : ابن الآبار ، الحلة السيراء ، ج1 ، ص42 ، كذلك المقري ، نفح الطيب ، ج3 ، ص334 .

(95) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج4 ، ص231 .

(96) ابن الآبار ، الحلة السيراء ، ج1 ، ص ص 42 - 43 .

(97) الزبيدي الأندلسي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص ص 262 - 263 .

(98) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص401 ، الضبي ، بغية الملتمس ، ص528 ، أما ابن هرمة فهو إبراهيم بن علي بن مسلمة بن هرمة ، من متقدمي الشعراء ، وممن أدركوا الدولتين (أنظر : الزبيدي ، ص262 ، هامش (4) .

(99) آنخل جنثالث بانثيا ، **تاريخ الفكر الأندلسي** ، ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية 1955 ، ص51 .

(100) إميليو غرسيه غومس ، الشعر الأندلسي ، ص31 .

(101) إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، ص45 .

(102) أحمد هيكل ، الأدب من الفتح إلى سقوط الخلافة ، ص100 .

* * *